

د. وفاء إبراهيم

الوعي الجمالي عند

الطفل

اهداءات ٢٠٠٢
أسرة المرحوم/شارل كرتيه
الاستغرافية


BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

رقم التسجيل
٧٦٨٠٥

رقم التسجيل
٧٦٨٠٥

الوعي الجمالي عند الطفل

الوعى الجمالى عند الطفل

د. وفاء إبراهيم



مهرجان القراءة للجميع ٩٧

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك
(الأعمال الخاصة)

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الإدارة المحلية

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ: الهيئة المصرية العامة للكتاب

الوعى الجمالى عند الطفل

د. ولاء إبراهيم

العلاقات

الإشراف الفنى

للغنان محمود الهندى

المشرف العام

د. سميح سرحان



مقدمة

وهكذا تمضى مسيرة مكتبة الأسرة لتقدم فى عامها الرابع تسع سلاسل جديدة تضم روائع الفكر والإبداع من عيون كتب الآداب والفنون والفكر فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية، تروى تعطش الجماهير للثقافة الجادة والرفيعة، وتنضم إلى مجموعة العناوين التى صدرت خلال الأعوام الثلاث الماضية لتغطى مساحة عريضة من بحور المعرفة الإنسانية، ولتقطع بأن مصر غنية بتراثها الأدبى والفكرى والإبداعى والعلمى، وأن مصر على مر التاريخ هى بلاد الحكمة والمعرفة والفن والحضارة .. عبقرية فى المكان وعبقرية الإبداع فى كل زمان.

سوزان مبارك

على سبيل التقديم . . .

مكتبة الأسرة ٩٧ رسالة إلى شباب مصر
الواعد تقدم صفحات متألفة من متعة الإبداع
ونور المعرفة مصدر القوة في عالم اليوم ..
صفحات تكشف عن ماضينا العريق وحاضرنا
الواعد وتستشرف مستقبلنا المشرق.

د. سمير سرحان

إهداء

**إلى روح الخيال الخلاق
لدى أطفالنا ... قطرة حب
من أجل البقاء فالبقاء للمبدع**

مقدمة :

إن أطفالنا ليسوا فلزات أكبادنا فحسب - كما يقال دائماً - وإنما هم أيضاً مستقبلنا بالمعنى الواسع لهذه الكلمة، فهم مستقبل أمتنا وغدنا الذى نعد له أن يكون مشرقاً. ومما لاشك فيه أن الدراسات الحديثة من نفسية واجتماعية وتربوية قدمت منهجاً وأدوات وتجارب وطرقاً عديدة تساعد فى تنشئة الطفل تنشئة سليمة وجيدة، إلا أنه من الملاحظ غياب الاهتمام بتنمية الوعى الجمالى عند الطفل، ذلك الوعى الذى لا يقل أهمية من الوعى العلمى أو الاجتماعى أو النفسى أو البيئى، لأن الوعى الجمالى - فى اعتقادى - يمكن أن يكون الخلفية التى تتحرك عليها زوايا الأنشطة المعرفية الأخرى للطفل، كما إنه له من المرونة أن يوظف فى مجالات متعددة من أنشطة الطفل، العلمية، والأخلاقية، والدينية والبيئية، كذلك هو أقرب إلى الطاقة التى تدفع وتحرك وتحرض ملكات الطفل أن تعمل متناغمة وعلى نحو متجدد دائماً.

ولعل هذا الرأى يستند إلى ملاحظات شخصية وتجارب وأراء الآخرين، وكذلك إلى دراسات وقراءات موضوعية منها - مثلاً - اهتمام علماء النفس والتربية باتخاذ الفن سواء أكان رسماً أو موسيقى أو أدبا نقطة رئيسية تكشف عن ذكاء الطفل أو عن اضطراباته المعرفية أو عن شخصيته ثم تمهد إلى طرق لتنمية الأبعاد الثقافية والاجتماعية^(١).

١ . أنظر : على سبيل المثال د. محمود بسيونى .. رسوم الأطفال قبل المدرسة. ..

د. شاكر عبدالحميد .. الطفولة والإبداع.

د. مصطفى عيد .. التربية الفنية لأطفال الحضانه، وغيرهم كثيرون.

ونأمل أن يعيننا الله " سبحانه " على أن نوضح هذا الرأى من زاوية علم الجمال وندعمه عن طريق منهج دقيق ليرقى هذا الرعى لدى الطفل ويصقله ، ثم نبين علاقة هذا الرعى ببعض أنشطة الطفل الإدراكية والحسية ، ثم ننتهى إلى بيان مظاهر هذا الرعى الجمالى وفاعليته فى حياة الطفل من حيث كونه نواة الانسان المصرى .

وانبة ان هذه الدراسة تهتم اساسا بالطفل منذ ولادته وحتى الثانية عشرة فقط لأننى أعتقد إنه فى ظل هذا التقدم التكنولوجى الكبير لا يمكن أن نعد طفل ما بعد الثانية عشر طفلاً ، كما سأميز بين مرحلتين :

١- مرحلة ما قبل المدرسة (منذ الولادة إلى الستين أو ثلاثة)

٢- مرحلة المدرسة (تشمل فترة الحضانه حتى نهاية المرحلة الابتدائية)

وأخيراً أقدم هذا الكتيب لكل من يتولى تنشئة الأطفال واعداد الأفراد للوطن، إنه مكتوب من أجل تحقيق غاية نبيلة هى رعاية الرعى الجمالى فى أطفالنا ، لأن أهمال او اغفال هذا الجانب فى الطفل ، لعله سبب مظاهر القبح ، والفوضى الوجدانية ، والانحرافات المتعددة ، (كالادمان ، والانحراف الخلقى ، والهوس الدينى) التى نلاحظها جميعاً . إذ إنها تعبر عن اللاتوازن بكل أشكاله فى الانسان ، واللاتوازن يعنى فيما يعنى ضياع الوحدة وتبدد التناغم فى الانسان ، واذا كان الكسيس كاريل، العالم والطبيب يقول فى كتابه " الانسان ذلك المجهول " : إنه لا يمكن فصل الانسان إلى أجزاء ، إذ لو عزلت اعضاؤه احدها عن الآخر لما بقى على قيد الحياة^١ . فإن ذلك يصدق بنفس القدر على فصل وجدان الانسان عن فكرة وعقلة .

١ . الكسيس كاريل : الإنسان ذلك المجهول - ص ٥٩

هل يدرك الطفل الجمال ؟

كما يقال دائماً أن من الصعب تصور امكانية ادراك الطفل للجمال ، حيث إن الجمال يحتاج إلى رصيد من التجربة ، وليس أدل على ذلك من أن الانسان الأول لم يستطع أن يميز بين الجميل والقيح وإنما كان جل اهتمامه هو الكشف عن النافع والمفيد .

وفي الواقع تثبت الدراسات المهمة بنمو الطفل وارتقائه المعرفي - خاصة في السنة الأولى - ان هناك مجالات متعددة يرتقى الطفل من خلالها معرفياً مثل جانب الإدراك ، وجانب المعلومات ، وجانب التصنيف ، وجانب الذاكرة . ويهمنى فى الأساس جانب الادراك حيث يكون الطفل قادراً على إدراك الموضوعات وادراك بعض خصائصها كاللون ، والصلابة ، والشكل وكذلك يجب الأطفال - بشكل خاص - فى السنة الأولى النظر إلى الحركة والتغير فى حجم أو اتجاه العناصر والموضوعات ' .

وبذلك نستطيع القول ان الطفل ومنذ لحظة ميلاده الأول واتصاله بالعالم يتركز على اسس جمالية ، ذلك لأن حاسة ابصاره حاسة مستكشفة لكيفيات ما حوله - اللون - الضوء اللبونه - الصلابة - ولقد دلت الملاحظات والدراسات والتجارب على أن حاستى السمع والبصر من أوائل الحواس العليا التى يستخدمها الطفل فى اتصاله بالعالم (قبل أن يمشى أو يجرى) ، فعيناه تتحركان فى متابعة نقطة ضوء ، أو لون أو شكل خاص ، ويلتفت إلى مصدر صوت إيقاعى ، أو ينام على أصوات أغاني التهنين المعروفة فى التراث الشعبى .

١ . د. شاکر عبدالحميد - الطفولة والإبداع - الجزء الثانى - ص ١٦ .

مقومات الوعي الجمالى عند الطفل :

لكى نتعرف بوضوح على مقومات الوعي الجمالى عند الطفل ، فلا بد ان نحدد معنى الوعي الجمالى الذى لا ينفصل عن الوعي بمعناه العام من حيث كونه مركز انتباه او شعور او ادراك ذات ساعية إلى معرفة موضوع ما تمارس من خلال هذه المعرفة نشاطا فعلا تتوالى فيه أساليب أو صيغ لا يمكن اختزالها أو انقاصها ، كأن نفهم ما يواجها من خلال بعد ما أو من خلال منظور خاص او من جانب من جوانبها مستخدمين الصور الخيالية والأدراكات الحسية والمشاعر والعواطف والمعارف جميعها بموجب طريقة خاصة بكل امرئ يتحكم فيها - مثلا - الحالة المزاجية أو الاختيار أو التذكير أو الانتقائية أو الانتباه أو التكيف¹ .

وفى ضوء ذلك التعريف فإن الوعي الجمالى هو القدرة على التدوق او الشعور او الانتباه الى القيمة الجمالية او الكيفية الجمالية التى توجد فى شئ ما سواء أكان طبيعياً او عادياً او عملاً فنياً فى ذاتها ولذاتها دون الاهتمام بصلتها المباشرة بالنفع المادى أو تحقيق اى مكسب عاجل او آجل وهذا ما يسميه الفيلسوف الالمانى كانت Kant بالتزهر عن الغرض *disinterestedness* ، ولما كان الطفل يبدأ بإدراك كفيات أو قيم الأشياء من حيث اللون والشكل والصوت والحجم ، فإن وعية - بصفة عامة - وعياً جمالياً .

ومن ثم فإن ما سبق يدفع إلى طرح سؤال :

¹ Dictionary of philosophy p., 46 .

ما هي القيمة الجمالية ؟

القيمة الجمالية هي وقيمة الخير (الاخلاق) والحق (المنطق) تكون مجال القيم الانسانية فقيمة الحق توجه تفكير الانسان على نحو منطقي ، وقيمة الخير تحدد سلوكه على نحو اخلاقي ، أما القيمة الجمالية تجعله يميز بين الجميل والقبيح في الطبيعة وفي الأعمال الفنية ، وهي تفترض علاقة تفاعلية بين المتلقى أو متذوق الجمال والشئ الذى يتم تذوقه سواء كان شيئا طبيعيا او عملا فنيا .

ولذا ينقسم الباحثون والمهتمون بالقيم إلى فريق يؤيد موضوعية القيمة الجمالية بمعنى اعتقادهم بأن القيمة الجمالية تكمن فى تلك الخصائص والسمات التى يحتويها الموضوع الجميل ، أما الفريق الآخر فهو يرى أن القيمة الجمالية ترتبط بالمتلقى أو المتذوق لموضوع جميل فهو الذى يضى من احساسه على هذا الشئ¹ . فيصبح بالنسبة له جمالا ، لذلك يفضل البعض تعريف القيمة بأنها ليست فيما نفضله بل فيما هو قادر على إثارة تفضيلنا وإعجابنا متى توافرت الظروف السليمة لكى تتم هذه الاستجابة ، وبذلك فالقيمة هي ما هو موجود بالقوة - على حد قول إرسطو - وليس هو الموجود بالفعل² .

وفى الحقيقة إن تعريف القيمة الجمالية تعريفا جامعاً مانعاً ليس موضوعاً سهلاً وبسيطاً ، فالقيمة الجمالية قيمة ثرية متسعة المجال ، متعددة الخصائص والسمات، كثيرة الإرتباطات فهى ترتبط بالتراث ، وبالوعى الجمعى ، وبالمستوى الثقافى ، وبالمناخ

¹ The Encyclopedia of philosophy Vol., 1-2 p.,52,53 .

٢ . د. أميرة مطر : مقدمة فى علم الجمال وفلسفة الفن - ص ١٠ .

الاجتماعى والنضج النفسى . كما إنها متنوعة الأبعاد وفقا لمستوى رؤية المتلقى ، فهى قد تحقق للبعض لذة وممتعة وتسلية وقد تمثل لأخرين احتياج ضرورى يصله بالأخر فى كل صورة ، ولقد عبر الشاعر جان كوكتو عن ذلك بقوله " الشعر ضرورة وآه لو أعرف لماذا " ^١ وبذلك يمكن القول ببساطة إن القيمة الجمالية تكمن فى تلك العلاقة التى يشتبك فيها المتذوق مع الشئ الجميل عن وعى وقصد .
لعل هذا يجعلنا نتساءل قائلين : بما إن الطفل يعى العالم جماليا ،

فهل هو يدرك القيمة الجمالية ؟ وما طبيعة هذه القيمة الجمالية لديه ؟

فى الواقع إن الطفل من حيث كونه يبدأ بإدراك كفيات ما يحيط به من لون، وصوت ، وشكل ، فإن معنى ذلك أنه يعزف من خلال الجمال او يتعرف إلى العالم حوله من خلال وقع الجمال عليه ، ويبدو أن هذا يذكرنا بنظرية المعرفة عند افلاطون حيث يرجع العملية المعرفية التى تبدأ بتذكير " عالم المثل " " إلى ألمع المثل " " مثال الجمال " الذى يثير ملكات الإدراك الحسى ، ثم الربط ثم المفاهيم ، فمثلا من جوانب الارتقاء المعرفى خلال السنة الأولى هو قدرة الأطفال على التصنيف ، أى تجميع الأشياء أو الوقائع على أساس بعض الخصائص المميزة المشتركة كاللون مثلا ^٢ .

وبذلك فهو يقدر القيمة الجمالية ضمنا ، دون قدرة على التصريح بذلك ، وإنما يدرك ويصنف ويميز وتحدد لدية الأشياء من خلال قيمتها الجمالية أى الوانها الصارخة ، أو الحارة ، أو أشكالها المتألثة ، أو حركتها المثيرة ، أو صوتها الرفيع لا الخشن لأن

١ . إرنست فيشر : ضرورة الفن - ص ٧ .

٢ . د. شاکر عبدالحميد - الطفولة والإبداع - الجزء الثانى - ص ١٧ .

الصوت الأرفع أحد ذبذباته وبالتالي أشد وقعا فى نفسه . أما بالنسبة لطبيعة القيمة

الجمالية ، هل هى ذاتية أم موضوعية ؟

اعتقد إنها تتحدد من حيث وقعها عليه ورغبته فيها ، فهى على الأرجح قيمة ذاتية لأنه فى هذا العمر لا يقوى على الإدراك التفاعلى الذى يستطيع من خلاله تحديد خصائص موضوعية فى الشئ ويشتبك إشتباكا إنفعاليا وتصوريا .

ويمكننا الآن العودة إلى تحديد مقومات الوعى الجمالى عند الطفل ، اذا كان الوعى الجمالى عند البالغين يتكون بصفة عامة من الجميل والجميل ، " الجميل " Beauty كما يقول كانط هو الذى نتحرر فى متعته من استخدام الأسلوب النفعى أو الغرضى مثل سرورنا بالزهريات المزخرفة ، والأريسك ، والحركات الايقاعية الراقصة ، وفى الطبيعة نجده فى الزهور ، والقواقع ، والبللورات . أما الجليل Sublime فهو ذلك الذى يتجاوز قدرات الانسان العقلية والخيالية والجسمانية بمعنى عدم القدرة على تصوره حسائيا أو حجما أو عددا مثل نجوم السماء ، ورمال الشواطى ، والعواصف والبراكين ، والفيضانات والزلازل ¹ .

وفى ضوء فهمنا للتعريفين نستطيع القول إن وعى الطفل الجمالى يقف عند حدود الجميل وخاصة فى المرحلة الأولى ، وذلك بحكم تكوينه الضعيف فهو يتصل بالعالم وهو وجل هباب مما حوله من أشياء ضخمة ، إن لم تكن تخيفه فهى تحيره ، ضخامة الأثاث من حوله ، افراد عائلته ، ولذا نجد الطفل إلى مرحلة ما قبل البلوغ يخاف من كل ما هو أكبر منه الأشياء ، والأشخاص ، لذلك فإن وعيه الجمالى يتأسس

¹ G and K : A History of Aesthetics p., 337 , 339 .

على الجميل وليس على الجليل الذى يحتاج الوعى به إلى قدرات شعورية وعقلية تستوعب الضخامة ، والمساحات الشاسعة والأشكال المخيفة وأيضاً المظاهر الغير مألوفة من حيث الحجم واللون والتكوين .

ولذا فإن الوضع التكويني والطبيعى والسيكولوجى للطفل يقدم الجميل على الجليل فى وعيه الجمالى ، وذلك لأن الجميل سوف يحقق له استئناس الوجود الخارجى والعمل على إقامة علاقة جمالية مع الجميل سوف تمهد بدورها إلى فهم الجليل والاستمتاع به فيما بعد .

ويبدو أن هذا التقديم للجميل فى وعى الطفل عن الجليل يشير إلى الكيفية التى يمكن من خلالها الوصول إلى معنى " الحقيقة الإلهية " دون غرس الخوف والرهبنة فى نفس الطفل ، وإنما من خلال رصد الجمال فى الأشياء والكون من حوله ، فبدأ بإيقاظ هذا الحس الجمالى من خلال الآيات القرآنية - عندما يبدأ يحفظ القرآن فى بداية المدرسة - التى تكشف عن أن الجمال فى تنظيم الكون وتصميمه مقصود وليس شينا بلا معنى ، مثل قوله تعالى : " لقد زينا السماء بمصابيح " ^١ .

كذلك الآيات التى تكشف بعض خصائص الجمال مثل التوازن والتناسق والترايط بين أشياء الكون مثل : " الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت * فارجع البصر هل ترى من فطور " ^٢ . كذلك " ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانه كذلك " ^٣ .

١ . سورة الملك (٥) .

٢ . سورة الملك (٣) .

٣ . سورة فاطر (٢٧ - ٢٨) .

وهناك كذلك احاديث الطفل مع أمه يمكن أن تدعم الوعي الجمالى الذى يصل به إلى الحقيقة الإلهية خاصة فى فترة اسئلته الحائرة عن خالق الكون من هو ؟
تستطيع الأم أن تنتهز هذه الفرصة فتعدد بعض اسماء الله عز وجل مثل المصور .
البديع ، العدل ، ثم تشرح له طبيعة كل صفة ، وتبدأ بالعدل أى حرص الله ﷻ عز وجل ﷻ على توازن الكون ، فكل جزء فى الكون موزون أو له وزن معين يقول تعالى ﷻ كل شئ خلقناه بقدر ﷻ ، والمصور أى أنه " سبحانه " يصوغ المخلوقات فى صياغات فنية ذات ألوان بهيجه وأشكال متنوعة ، والبديع اسم فاعل أى المبدع خالق الجمال بقصد وروية ، وكل هذا يعنى أن الله " سبحانه وتعالى " لم يخلق كتل متناثرة .
مبعثرة من حجارة ونبات واشجار وانسان وجبال وبحار ، بل جعل كل هذا عناصر فى " الشكل " الذى يضم هذا الكون الجميل الذى نراه متوازنا ومتناسبا ومتجانساً .

ولعل ذلك يلفتنا إلى شئ مهم إنه اذا كان الله سبحانه وتعالى ابداع وعى الطفل ابداعا جماليا ، فإن ذلك يحتاج - كما يقول د.محمود بسيونى - من الأباء والأمهات والمدرسين أن يكونوا بدورهم فى درجة من الإبداع تسمح برؤية رسوم أطفالهم وتدوقها ، وهذه ثقافة ضرورية لا بد ان يمهدها فى تكوين المواطن الذى سيكون أباً أو أما فى المستقبل وله أطفال سيرعاهم بالتنشئة التى تحافظ على مستوى ابداعهم وتنميه^١ .

ومما لاشك فيه أن ذلك يحتاج إلى تعاون فى مناخ عام تشترك فيه المؤسسات المعنية بتنشئة الطفل من أسرة ، ومدارس ، ونوادى وإعلام لأنه قد يعوق دور الواحد منهم الآخر ، فقد تضيّع أو تهدر المدرسة دور الأم ومجهودتها وإهتمامها بوعى طفلها

١ . د. محمود بسيونى - رسوم الأطفال قبل المدرسة - ص ١١٩ .

الجمالى حين لا يتبته المدرس إلى أهمية ذلك الجانب ، كذلك قد يفعل الإعلام نفس الشيء من خلال المواد المبتوثة فيه .

ولعل ماسبق يجعلنا نطالب بضرورة إرجاء الآيات القرآنية التي تصور مشاهد يوم القيامة أو قيام الساعة لأنها تصور الجليل ، بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ، حتى يستعد الطفل وتعمل قدراته لفهم الجليل ، فالبدء بالجميل ثم التمهيد للجليل يؤدي إلى توازن المعنيان، الجمال والجلال فى تتابع يرسم صورة متوازنة لحكمة الخلق من حيث كونه حياة مليئة بالجمال والعمل والكد ويقدر الإحساس بهذا الجمال وتقديره والعمل على الحفاظ على الكون بالعمل الصالح سيكون الجزء بحسب درجة الأداء فى الحياة من حيث الجودة و الافادة . و ينطبق نفس الشيء على استخدام التراث الشعبى استخداماً سيئاً عندما يحكى للاطفال حكايات الجن و العفاريت والغيلان بقصد تخويفهم فأنتى أعتقد إنه يمكن تحوير و تكيف هذه الحكايات بحيث يتم من خلال إبراز قيم جديدة مثل الشجاعة ، و الوفاء ، و عدم الاستهتار بما هو صغير أو بسيط أو الانتماء و حب الوطن .

و لعلى الأن فى مناسبة ملائمة أحكى فيها عن شكوى عامة من الأمهات بتعلق أطفالنا بالأشياء الضخمة ، حيث يركز الأطفال - عموماً - فى هذه الأيام - على المعيار المادى و الكمى ، وفى الحقيقة أن الابناء معذورون ، لأننا فى عصر كل شئ فىة ضخم ، ناطحات السحاب ، والمحطات النووية ، و المباني الضخمة ، والكبارى العريضة ، فأنسحب ذلك على سلوك الاطفال - و الكبار ايضا - الاخلاقى و الجمالى فطمح الطفل إلى الكثرة ، و التعدد ، و التنوع ، فى الاكل ، وفى المشرب و فى الملابس ، وايضاً فى اللعب ، و لذلك يمكن أن نستخدم " الحكى القديم " على نحو جديد ، فنحكى لة قصص من التاريخ بعد أن نكيفها تكيفاً علمياً و أخلاقياً وجمالياً ، فنختار - على سبيل المثال - من التاريخ البيولوجى قصة اختفاء الديناصور الضخم و المخيف نتيجة هشاشة بيضه و نبين

على نحو مقابل ، صمود و قدرة الأعشاب الخضراء الصغيرة للتقلبات الجيولوجية العنيفة ، وتبدأ الام فى كشف الدلالات بشكل غير مباشر ، فصمود العشب الصغير يعود إلى نموه السريع لأن متطلباته أقل من متطلبات الشجرة التى تبذل كثيراً من مواردها لبناء جزعها و ثمارها ، و هكذا ...

و أعتقد إنه من خلال هذا النوع من الحكى الذى يعتمد على الملاحظات العلمية لا على الخرافة و التخويف يغرس احترام الأهداف الصغيرة ، و احترام الطموحات المناسبة للإمكانيات التى يملكها يارادته الخاصة لا بالتقليد فيتحكم فى جودة ثمارها ، لأن للطموحات ثمار كما يتحكم فى جمالها لأن الجمال يعنى التوازن بين طموحاتنا و إمكانياتنا . و بذلك يتعود الطفل و ينمو فى داخله بأن كل صغير بالرعاية و التدعيم و الحب يصبح نافعاً و ايضاً جميلاً .

و بذلك نستطيع القول إن المعطيات الجمالية التى يدركها الطفل وليداً ، و يتشربها فيما بعد من اسرته و مدرسته و مجتمعه ، هى التى تصله بالعالم و تمكنه من فهمه و إله و ليس الاحتياج أو الأشباع البيولوجى ، كما كان يتصور حيث أن هناك ملاحظة بسيطة تدلنا على هذا الرأى و هى أن الطفل اذا غضب لا يأكل ، و اعتقد أن كثير من الأمهات لها تجارب وملاحظات كثيرة فى هذا الشأن . مثل امتناع الطفل من الرضاعة اذا تم زجرة اثنائها لأنه ضغط على الثدي بسنته النابتة - مثلاً - أو ترايد بكاء الطفل مع ترايد غضب امه أو إنفعالها . دعوته للهدوء حين تهدأ هى من الداخل .

مكونات الجميل عند الطفل :

اعتقد إنه يمكن حصر خمس كفيات جمالية أساسية تربط الطفل بالعالم هم

- اللون - الضوء - الصوت - الحركة - الإيقاع

يبدو ان هذه الكفيات تقدم مادة جماليه رائعه للطفل او تغلف الاشياء بماده جماليه فاللون الفاقع يلفت انتباه الطفل عادة ويجعله يشعر بالمتعه والسرور وكذلك انعكسات

الضوء بواسطة لعبة او لمبه وايضا الهمهمة والتهنين كصوت لغوى والرفس والتقلب
يمينا ويسارا او المرجحه ثم الصوت كايقاع فى اغنيه او فى موسيقى .
ولذلك لا تلعب الكيفيتان الخاصتان بالحجم والخط دورا فى المتعه الجماليه
للطفل فى البدايه لأنهما يرتبطان بوعى متقدم عنه اذ يحتاجان لقدرات ادراكيه خاصه
فالحجم يدخل فى تذوق الجليل كالمعمار والخط يدخل فى التجريد كفن الارييسك
ويتعرف الطفل على الخط فى مرحله الدراسه او على الاقل فى مرحله الحضانه .

بداية الوعى الجمالى لدى الطفل

اذا كان الوعى الجمالى يرتبط بالقيمه الجماليه التى تنبثق من شكل جميل فان ما
يحدد جمال الشكل هى تلك الكيفيات الحسيه التى ذكرناها والتى يمتلك الطفل منها
خمس كيفيات اللون الصوت الحركه الضوء الايقاع وان كان الطفل لا يعى الشكل
بالمفهوم الجمالى والاصطلاحى له فانه ينتبه لتشكيل الصور او يعمل على تذوقها وهى
تلك الصور التى يتيحها له محيطه من خلال الكيفيات التى يمتلكها ويلاحظ تزايد درجه
تذوق الطفل للصور ذات الكيفيه اللويه او الضوئيه او الصوتيه او الحركيه بالنسبه
لعلاقتها بالشخصية القريبه له والمعتاد عليها فما يقدم بواسطة الام او الاب او الاخ من
صور لويه او ضوئيه او حركيه يقع فى نفسه موقع التلقى الايجابى اكثر من الاشخاص
الاغراب لذلك على الاسرة ان تستخدم الكيفيات الجماليه الخاصه بالطفل فى
تشكيلات منظمه كالتشكيل الجمالى للصوت فى اغنيه وكالتشكيل الجمالى فى اللون
بصاغه او تلوين لعبه معينه بالوان الفاكهه او الورود وكالتشكيل الجمالى للحركه فى
اللعبات المتحركه وكالتشكيل الجمالى للضوء فى التوزيعات الضوئيه المتناسقه ويرى

جان بياجيه ان الطفل يبدأ منذ مولده والى نحو الشهر الثامن عشر بانطباعات غير متناسقه عن طريق حواسه المختلفه التى يكون حتى ذلك الوقت غير قادر على تمييزها من استجاباته المنعكسه لها ويحصل تدريجيا فى اثناء هذا الوقت على المعنى والتناسق الحركى والتوافق وهى الامور الضرورية لادراك الاشياء ومعالجتها يدويا فى المكان والزمان ولرؤية ما بينها من علاقات طارئة^١ وفى ضوء ذلك فان التدعيم الدائم للتشكيلات المكونه من الكيفيات الجماليه الخمسه وتكرارها ستزودى الى نوع من التثبيت لهذه الكيفيات وما بينها من علاقات فى وعى الطفل لأن الطفل ليس لديه انتقاء جمالى وانما علينا ان نقوم بالتثبيت الجمالى للمعطيات الجمالية السابقة ومن ثم تبدأ اولى مراحل حفظ الإبداعية الجماليه بمعنى حفظ اللون والحركه والصوت والايقاع وعلى الرغم من القول بان الطفل يجرب كل شىء بواسطة يديه او اسنانه فهو لا يصدق اذنيه ولا عينيه بل يديه واسنانه فقط وهكذا فالادراكات السمعيه والبصريه نفسها التى اعتدنا ان نعتبرها الدنيا بالقياس الى التصورات الفكرية هي ظاهره متاخره نسبيا^٢ فان هذا القول يكشف لنا خصوصيه خبره الجماليه لدى الطفل وهذه الخصوصيه لا تلغى وعيه الجمالى فاذا كانت العين والاذن وهما حاستا الجمال متأخرتين عند الطفل وان اليد والذوق وهما الحواس الجماليه الدنيا هي الحواس الاولى عنده لا يعنى فيما تعنيه الا ان الوعى الجمالى عند الطغل يتسم بالحسيه الشديده فهو لا بد ان يلمس الجمال بيده ويشمه ويتذوقه ويمكن ان يفككه وذلك لان إدراكاته التصوريه التى يمكن ان تحقق المسافه بينه وبين الجميل تزودى دورها فى مرحله متقدمه

١ . سوزانا ميللو .. سيكولوجية اللعب - ص ٦ .

٢ . غيورغى غاتشف - الوعى الفنى - ص ٢٠ .

تأتى مع المدرسه وألفته للتجريد خاصة مع الرياضيات وبالإضافة الى ذلك فان الفن الحديث اصبح يوجه اهتمامه الى بقية الحواس الاخرى وخاصة الجاسه اللمسيه والعضليه اذ تحقق للفنان افق جديدة من اللذه واكتشاف لقيم جديدة فى التصوير او النحت يقول ديلاكروا : " اه لو امسكت بلوحة الالوان فى هذه اللحظة كم اتوق الى هذا اننى اريد ان افرش لونا دسما سميكا على لوحة داكنة او حمراء " .

كما تجرى اليوم بحوث فى كل اتجاه وصل بعضها الى ان اوحى لأصحابها بان الفنان وكذلك المتذوق لهما القدرة على ان يحصلوا من الماده فى التصوير وحدها على تأثيرات فيه دون ان يفيدا من عنصر الشكل ، يتحدث هؤلاء عن الفن المحسوس او الفن الخام ، ولقد اسى احدهم لوحته عجينه عظمى^١

مرحلة الخبرات عند الطفل

اذا كان الوعى الجمالى كما لاحظنا ، يبدأ منذ الولاده ويبدأ بالاهتمام بالجميل لا الجليل وان عناصر هذا الجميل لدى الطفل هى خمس كفيات ، ونهنا الى محاولة تثبيت تشكيلات جماليه من خلال هذه الكفيات ، لتحفظ الطفل اولى حروف الابدديه الجماليه ، فان هذا يستمر الى حوالى السنتين او يزيد قليلا ، ويبدأ تطور جديد من النمو الجسمانى والحركى اذ يبدأ الطفل الحبو ثم المشى ومع المشى تبدأ مرحلة الخبرات عند الطفل أى بداية استكشاف العالم الخارجى كمعطى جمالى اذ لا بد وان يعرف تفاصيله فنجد ان هذا الاستكشاف يبدأ بجغرافية المكان من خلال مواقف عشوائية ليس لنا ارادة فى التحكم فيها ، وينعكس ذلك على اسلوب لعب الطفل ، اذ يصبح لعب

١ . جان بارليمى : بحث فى علم الجمالى ترجمة (أنور عبدالعزيز) - ص ١٧٨ .

الطفل - كما يقول د. شاكر عبد الحميد - أكثر استكشافية وبنائياً وتظاهرياً
Pretend play بمعنى أن يتعامل مع الشيء كما لو كان شيئاً آخر
وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال مهم :

أين الخبرات الجمالية من بين هذه الخبرات التي يمارسها الطفل، وما هي

طبيعتها ؟

في الحقيقة يمكن أن نضع أيدينا على الخبرات الجمالية ، وإيضاً يمكننا أن نتعرف على طبيعتها من ملاحظتنا لسلوك الطفل واستجابته في مواقف معينة فمثلاً ، عندما يضغط الطفل على زرار بالصدفة وفجأة تضاء اللمبة ، ونجده يهلل ويشير هذا الموقف بهجته ، كذلك عندما يقوم بالإختفاء في مكان يختاره غريزيا على إنه مجبأ صعب المنال وتملكه الغبطة والحيرة تأكل قلب امه وهي تبحث عنه ، وهناك اطفال لا يأكلون إلا برؤية اشياء تجذب انتباههم إلى جمالها وجدتها ، بأن تجذب حبل الشفاط فيدور ويقدم تشكيل وصوت ثم نتركه وهكذا ، فيتم التهام الأكل اثناء التمتع بالرؤية ، كذلك فتح التليفزيون واغلاقه على نحو متكرر ، وأيضا الاستمتاع برؤية الرسومات المتحركة ذات الألوان الجذابة ومحاوله تقليدها صوتا أو حركة .

وفي ضوء هذه الملاحظات ، لو اردنا تحديد طبيعة الخبرة الجمالية عن غيرها من الخبرات الأخرى ، سنجد إنها تلك الخبرة التي يتضح من خلالها " فاعلية " الطفل في العالم ، قدرته على التشكيل وايضاً التأثير والإدهاش ، ولذلك يجب ان نميز بدقة بين خبرة اللعب و الخبرة الجمالية لدى الطفل ، فلقد اوضح K.Grooz جروس إن

١ . د. شاكر عبد الحميد - الطفولة والإبداع - الجزء الثاني - ص ١٧ .

مشاهدات الأطفال لا تكشف عن علاقة لها صفة الثبات بين السرور الظاهر واللعب ،
وقدم مثلاً لذلك بأن طفلاً فى الثالث من عمره يحاول بناء بيت معقد من الآجر
وينهمك فى عمله ، ويشور ان هدمه اخوه الأصغر ، ويكتتب اذا لم ينجح ، ولكنه
لا يكون مبتهجاً به ولا ملاعباً بنوع خاص ، بل على العكس يظهر كل دليل على شدة
الأهتمام ، ولكننا نتوهم إنه يستمتع ببناء البيت مجرد إنه ليس مضطراً إلى بنائه بنفسه ،
وحرية الاختيار التى لا تفرضها أو تحتتمها الظروف علامة على اللعب وإن كانت لا تمدنا
بتميز مطلق .

فى الواقع إن هذا الكلام يكشف لنا عن أن هذه الخبرة فن وليست خبرة لعب،
أى خبرة مرتبطة بالوعى الجمالى ، ولعل هذا يفرض علينا التميز بين :

خبرة الفن وخبرة اللعب .

إن الاعتقاد بأن اللعب والفن صنوان هو اعتقاد " خاطئ " فالفن قد يتشابه مع اللعب
فى أن كلاهما غير نفعى أو موجه لغاية عملية ، إلا أن الخيال فى كلا منهما يختلف عن
الآخر ، فالخيال فى اللعب خيال خادع ينتهى بإنهاء اللعبة ، أما الخيال فى الفن خيال
بناء إبداعى يضيف صورة جديدة ورمزاً جديداً يدوم ويستمر .

ولذلك يميز إرنست كاسيرر E.Casairer بين ثلاثة انواع مختلفة من الخيال

: Imagination

• قوة الإبتكار

١ . سوزانا ميللر - سيكولوجية اللعب - ص ٢١ .

• قوة التشخيص .

• قوة ايجاد صور حسية .

ثم يقول نجد القوتين الأوليين فى لعب الطفل ولكننا لانجد الثالثة ، اذ يلعب الطفل بالأشياء ويلعب الفنان بالأشكال والرسوم الايقاعات والنغمات ^١ .

وبذلك يتضح أن ما وصفه جروس Grooz ، هو خبرة فن وليست خبرة لعب ، لأن الطفل يكتب إذا لم يستطع أن يضيف الشكل أو الصورة الساكنة فى خياله أو التى تحرك شعوره ، لان الجوهر او الخاصة الاساسية للفن كما قالت سوزان لانجر S.Langer هو إنه حياة الشعور ^٢ Life of feeling

ومن ثم يمكن القول إن ضرورة التمييز بين خبرة الفن وخبرة اللعب تساعد على فهم الفروق الدقيقة بين الخبرات ، هذا الفهم الذى يساعد على تدعيم الجوانب المختلفة بشكل ملائم لها ، مما يؤدي إلى تنشئة طفل متكامل الشخصية ، متوازن الجوانب ، ولايعنى هذا القول التقليل من شأن اللعب ، فاللعب نشاط مهم جداً للطفل، ويبدو اننا يجب أن ننظر إلى اللعب من زاوية جديدة ، زاوية علاقته بالطفل ، فاللعب بالنسبة إلى الطفل نشاط جاد ، بل هو كمال الجدية ، حيث نلاحظ حالة الأستغراق التى تحتوى الطفل وهو يلعب ، تلك الحالة التى تأخذه من مواعيد أكله وشربه مثل العالم فى المعمل أو الفنان فى مرسمة أو الباحث بين أوراقه وكتبة ، ومايؤكد هذا القول إن واقعة انفتاح وعى الطفل على العالم لايعطى فرصة للعب كما نفهمه على

١ . لرنست كاسيرر - مقال فى الإنسان - ص ٢٨٢ .

^٢ S.K. Langer : The problems of Arts - p.125

أنه عبث وهو ، لأن العالم يثير خيال الطفل وإدراكه ، فهو كالمسافر إلى بلد جديد تلمسه الحيرة والدهشة ويشغله الفهم الجغرافى والاجتماعى والثقافى للبلد .

ولعل ذلك يتضح على نحو دقيق فى وصف جون ديوى فى كتابته " مدارس المستقبل " لمدرسة اللعب التى تديرها " مس برات " فى نيويورك حيث تجعل مناشط الاطفال فى اللعب محورا لكل العمل فيها - وتتلخص خطة مس برات - وفق ما تقوله هى إتاحة الفرصة للطفل كى يلتقط خيط الحياة فى مجتمعه ، وأن يعبر عما يحصل عليه بطريقة فردية وتهتم هذه التجربة بأن يحصل الطفل على المادة العلمية طازجة غير منقولة عن أحد ويقال إن الطفل لديه الكثير من المعلومات التى تمكنه ان يبدأ فيها ، وإنه يضيف إلى هذا الرصيد الذى لديه يوما بعد يوم ، كما يقال إن من الممكن أن نوجه انتباه الطفل بحيث يستطيع أن يحصل على معلوماته بطريقة اكثر ترابطا ، إذا استطاع ان يطبق مثل هذه المعلومات على مشروعات اللعب الفردية التى يستخدم فيها لعبا وكتلا خشبية لها علاقة بهذه المعلومات . كما يمكن تطبيقها عندما يعبر الطفل عن نفسه ببعض الوسائل العامة كالرسم والتمثيلات والتعبير اللغوى الشفوى^١ .

ولذا يبدو أن اللعب حكم نسي ، كما إنه واقعة يكتشفها الكبار فى انفسهم بعد ان يكونوا تجاوزوا مرحلة أدنى إلى مرحلة أعلى فى تعلم شئ ما ، كأن يشبه احدهم ذلك التجاوز بعد - اى الفهم والسيطرة على ذلك الشئ - إنه اصبح لعبة . وبذلك تختلف خبرة الطفل الجمالية عن خبرة اللعب ، وإذا اردنا تحديدها فهى تلك الخبرة التى تمثل " فاعلية " الطفل فيما يحيط به ، ويمكن تفصيلها إلى خبرات متعددة

١ . جون ديوى - إيفلين ديوى - مدارس المستقبل - ص ١٦٣ .

نشقتها من تحكّمة فى الكيفيات الجمالية الخمسة التى ثبتناها فى داخله ، والتى نلاحظها فى حبه إلى الشخبة أو التلوين أو التنعيم أو الحركات الايقاعية التى تمثل الموسيقى التى يسمعها وايضا الالعب الحسائية وغيرها ، ويمكننا ان نضيف أن سمة فاعلية التشكيل التى تميز خبرة الطفل الجمالية ، فنجد إنه عندما يكتشف الجانب العملى فى اللعبة فهو يكسرها ، اذ يشعر دائما بالميل إلى فاعلية تشكيل العالم الخارجى ، وذلك يؤكد إن وعية بالعالم لاينطلق إلا من مقومات جمالية تغفل الجانب العملى ، وترنو دائما نحو التشكيل والتأثير والفاعلية لذاتها .

ويبدو ان هذه الصفة قد تساعد - فيما بعد - ونحن نضع منهج لترقية الرعى الجمالى وتدعيمة ، ولعلنا نستطيع الآن ان نلفت الانتباه إلى أن هذه الخبرات التى تحدثنا عنها الآن كالشخبة والتلوين وبعض الحركات الإيمانية التمثيلية التى يمارسها الطفل وغيرها ، لاترتبط بالنمو الطبيعى أو التقليد فحسب - كما يقال دائما - وإنما هى حصيلة معطيات أو كيفيات جمالية تم تثبيتها فى وعى الطفل .

ومما سبق قوله من ملاحظات ودلائل أكدت على أن الطفل يشعر - كما يقول اتين سوربو - بحاجات جمالية كثيفة . ولكنها تختلف عن حاجات البالغين ، فهو مثلا يحب جمع الاشياء الصغيرة التى تحمّلة إلى دنيا الخيال وعالم السحر ، وهو مولع بالنظر إلى الصور والزخارف فى الكتب . والشئ الأكد أن الطفل لايتوجه فقط إلى النماذج المصنوعة ، وإنما يتوجه أحيانا إلى الطبيعة فكم من قطرة ندى تحت وهج الشمس ،

وكم من زهرة فى الحقول يرنو إليها متبصراً فتشير عنده الإحساس بالعجب ، على درجة من الكثافة لا يبلغها الكبار الناضجون^١ .

مما لا شك فيه إن هذه الحاجة وتطورها هى محرك الوعى الجمالى الذى هو بدوره طاقة دافعة لتناغم ملكات الطفل حساً وتصوراً فالوعى الجمالى - كما قلنا فى البداية - يمكن توظيفه فى مجالات عدة مثل مجال السلوك الاخلاقى ، والعلمى ، والثقافى ، وسوف نبين ذلك فيما بعد ، واكتفى الآن بمقال بسيط يوضح العلاقة غير المباشرة بين الوعى الجمالى وتحمل المسؤولية لدى الطفل الصغير :

فى يوم من الأيام اهديت نبتة خضراء لأبن اخى الذى لم يكن وقتها تجاوز الخمس سنوات، وقلت له ما رأيك فيها أجاب قائلاً : انها حلوة ، قلت له ، إنها لك ياترى هتحافظ عليها لتكون دائماً حلوة ، قال ، نعم ، واخبرتني زوجة أخى فيما بعد - عن مدى حرصه الشديد على أن يسقى النبتة واهتمامه الكبير بها ، واطرائه الدائم لجمالها ، ففهمت أن الإحساس بالجمال المنزه عن أى غرض أو مصلحة ، يأمرنا من الداخلى بالمسؤولية تجاه ما نتذوقه جمالياً ، وبذلك هو يختلف عن الأمر الاخلاقى الذى يأمرنا من الخارج ويفرض قيوده على نحو شكلى أحياناً كثيرة .

وعندما يتأمل المرء فى كل ما سبق ، يمكن أن يدرك أهمية تدعيم الوعى الجمالى لدى الطفل، إذ إنه خامة تحتوى كثير من إمكانيات التشكيل وزوايا النظر المتنوعة التى تحرض ملكات الطفل وتجعلها تتأزر بشكل يعالج كثير من شكوانا عن

١ . إتيان سوريو : الجمالية عبر المصور - ص ٢٣ .

أحادية النظرة في الطفل ، أو هموله ، أو انطوائه أو ترديده لما يتلقاه دون قدرة على الابتكار والتجديد .

وبما أننا واعين بأهمية الوعي الجمالي في الطفل فيجب ألا نتركه لطبيعته فيضعف أو يتراجع، وقد يندثر نهائياً كמكون من مكونات شخصية الطفل ، ولذا علينا أن ننتهج منهاجاً حصيفاً نستفيد منه لزيادة وترقية وتفعيل هذا الوعي في حياة الطفل .

ولما كان خير المناهج ما دخل على موضوع يعيه ، فعلينا بادئ ذي بدء أن نقف قليلاً لتقديم مدخل إلى المنهج نحدد به طبيعة الموضوع الذي نضع له المنهج وهو الوعي الجمالي لدى الطفل ، ويمكننا أن نقدم ثلاث نقاط تشخيصية كمدخل لهذا المنهج :

١- الوعي الجمالي كمدخل للتعليم .

يقول الأستاذ الدكتور يوسف مراد في كتابه " علم النفس فى الفن والحياة " هناك حقيقة ثابتة لم يفتن إليها المربون إلا أخيراً ، إن الطفل فنان بطبعة ، مهما كان مستوى البيئة التي يعيش فيها حقيراً يبدو إن هذا يعنى أن الوعي الجمالي عند الطفل ليس فانتازيا أو شيئاً ترفياً أو شيئاً ثانوى ، بل هو أساسى فى فطرته ، كما أنه ملك للفقراء والأغنياء ، وبذلك فإن الوعي الجمالي أعدل الأشياء قسمة بين الأفراد ، وكلمنا عنيماً برصيد هذا الوعي وترقيته وتوسيع مجاله لدى الطفل لأستطعنا تطوير عملية التعليم من خلاله ، ومما لاشك فيه إن ذلك يقتضى وعى المدرس بأهمية هذا الجانب حيث إن

١ . د . يوسف مراد .. علم النفس فى الفن والحياة - ص ٢٩ .

الطبيعة الاستطبيقية (الجمالية) للمدرس أو فهمة للاستطيقى سوف يلعب دورا منجزا فى عملية وسياق التعليم .¹

ولعلنا إذا أردنا تحديد هذا الدور الجمالى للمدرس على نحو أكثر تفصيلا نقول إنه يعنى وعى المدرس بما يمكن أن نسميه . الشكل الجمالى للفهم The Aesthetic form of understanding وهو يتلخص فى عدم إرتكاز العملية التعليمية على حشو المعلومات المختلفة سواء كانت لغوية أو رياضيات أو علمية ، وإنما لابد أن يهتم المدرس بالشكل الذى تصب فيه هذه المعلومات وتتحرك من خلاله على مقومات جمالية تتميز بالتنوع الدائم ، بحيث لا يتعود الطفل على استدعاء المعلومات وتشغيلها بواسطة عمليتى التذكر والا سترجاع فحسب ، بل بالقدرة أيضا على استخدام أشكال متعددة لصب مادة الدراسة (لغة عربية ، رياضيات ، تاريخ ، علوم) وبذلك ترتقى قدرة الطفل المعرفية فى التحصيل ، فالمعرفة تتطلب ما هو أكثر من التلقى والترديد للمعلومات العلمية ، فهى تقتضى قدرة الطفل على تأكيد حقيقة هذه المعلومات من خلال اجوبته على الأسئلة بطرق جديدة² .

وذلك يتطلب وعى المدرس بأن الحس الجمالى لا يتحدد بالفن ، إذا أننا نمتلك حسا جماليا لموضوعات الطبيعة كالبحر والسماء ، كما أن العمل الفنى بنفسه يؤثر علينا على انحاء متعددة أخلاقية واجتماعية ودينية وفكرية ، كذلك ضرورة إيمان المدرس بأهمية الوعى الجمالى وعدم النظر إليه على أنه إدنى من حيث المستوى المعرفى ، ذلك لأن قصر المعرفة على ادراك معرفى أوحد مؤيد من قبل العقل هو بتر لنصف

¹david farnel : Every man - Artist , p ,184

²R F Dearden : The Aesthetic form of Understaning -p 287

الإنسان ، ومن العسير ان نفصل - كما يقول د. زكريا ابراهيم - " الوجدان " من " التفكير " لأنه الوجود البشرى وحدة عضوية لاتقبل التجزئة
وهنا يمكن أن نتساءل كيف تتفاعل المقولات الجمالية التي يعيها المدرس مع المعارف المتعددة التي يدرسها للطفل كالرياضيات والعلوم والتاريخ ؟

وسوف نقدم امثلة بسيطة وموجزة لهذا التفاعل :

فى الرياضيات : ضرورة أن يلجأ المدرس إلى تنويع وتغيير العلاقات بين الأرقام على الرغم إنها تؤدي إلى نفس النتيجة - مثلاً

$$20 = 2 \times 10 = 2 \times (6 + 4) = 20 = 2 \times 10$$

$$20 = 15 + (2 \div 10)$$

بمعنى تغيير الشكل أو اختلافه مع ثبات الموضوع فى الفن ، أذ يعبر كل فنان عن " الموضوع المطروح " بشكل مختلف يعبر عن مضمون دال على درجة ثقافته ونضجه الفنى .

فى العلوم : اللجوء إلى كشف العلاقات بين اشياء غير متجانسة مثل علاقة " النحلة والزهرة " وتحريض ملكة الملاحظة إلى الفروق بينهما عن طريق التعاطف الجمالى لكلايهما ثم تشجيع وضع فروض متعددة لهذه العلاقات ومحاولة مناقشة هذه الفروض إلى أن يثبت الفرض الصحيح فتصل المعلومة العلمية إلى الطفل على نحو إيقاعى يتدرج من البسيط إلى المعقد .

١ . د. زكريا ابراهيم : الفنان.. والإنسان - ص ١٤٤ ..

فى التاريخ : يعرف موضوع التاريخ دائماً على إنه دراسة افعال الانسان فى الماضى كحقائق صلبة تتكون من تواريخ وأسماء وأزمنه وأمكنه ، ولكن المدرس ذا الوعى الجمالى والراعى للوعى الجمالى للطفل يمكنه ان يستخدم مقولات الجمال مثل الإيقاع ، Rhythm ، الهارمونى harmony ، والتعبير Expression ، والتوازن Balance ، وهى مقولات جمالية عندما يسرد أحداث التاريخ ووقاعة بحيث يشد إنتباه الطفل إلى صور متلاحقة للأحداث تتحرك إيقاعياً ، وتعبير شخصيات الاحداث عن ذاتها كأنها لحم ودم ، وتتوازن داخل الصور والأحداث والأفعال على نحو متمائل تارة symmetry أو غير متمائل Assymetry تارة أخرى ، وفقاً للقيم التى تحرك الاحداث الشر والخير ، الهزيمة والنصر الحرية والاستعباد ، فيتعرف الطفل على التاريخ كأنها صور حية بمقدورها أن تقيم علاقات التوازن والتشابه والأختلاف بينها وبين الحاضر فتتمو فى داخله ملكة النقد وحرية الرأى .

ب- الكثرة خارج الوحدة :

هناك نقطة خلافية بين علماء النفس حول طبيعة إدراك الطفل هل هو ادراك كلى أم ادراك يهتم بالتفاصيل ، فنجد علماء امثال كراموسيل Cramausell ، وميتشو Michotto وبرونر Bruner وبياجية Piaget يؤكدون على أن الطفل يدرك التفاصيل أولاً ، بينما يؤكد آخرون وبخاصة من منظور جشطلتى أن الطفل يدرك الكل أولاً ، وهناك فئة ثالثة من العلماء تميل إلى النظر إلى ادراك الطفل باعتباره عملية تفاعل وتراكم لإدراكه للكل وللأجزاء^١

١ . د . شاكى عبدالحميد : الطفولة الإبداع - الجزء الأول - ص ٤١ .

فى الواقع أن الوعى الجمالى الذى يحقق بدورة خبرة جمالية - فى الكبار - يتطلب أطاراً تتفاعل فيه قدرات مختلفة ، مثل القدرة على التأليف بين أفكار مختلفة فى لحظة واحدة ، أو القدرة على المزوجة بين ماأتى من حاستين أو أكثر فى وقت واحد، والتحرك الإيقاعى مع مادة التذوق ، والتطور الإفعالى مع موضوع التذوق ، كل هذه القدرات تمكن الإنسان الناضج من تلقى وفهم وتذوق واستمتاع بالشكل Form الذى بدورة هو مركب من كثرة من العناصر أو هو الوحدة فى الكثرة Unity in variety الوان ، ظلال ، خطوط، فى حالة اللوحة ، اصوات ، إيقاع ، هارمونى ، لحن فى حالة موسيقى ، كلمات ، صور بلاغية ، أفكار فى حالة الأدب وهكذا ، وعملية التركيب هذه التى يتكون منها الشكل هى عملية عقلية ، فالوحدة - كما يقول سانتيانا - تنشأ على نحو واع وهى إدراك بالبصرة النافذة للعلاقة بين عدة عناصر حسية ، يدرك كل منها على حدة ويدرك ماينها من اختلاف أو تشابه نوعى أو كمى ... وهكذا^١ .

فى ضوء ذلك نميل إلى القول بأن الطفل حتى السادسة على الأقل يتسم وعية الجمالى وبالتالى خبرته الجمالية بأنه وعى يهتم بالأجزاء وبالتفاصيل إلى أن يبدأ فى الأرتقاء المعرفى وتتنظم عنده مجالات الإدراك البصرى والسمعى واللمسى والحدسى بشكل متفاعل يسلم إلى قدرة إقامة العلاقات بين الأشياء المتجانسة وغير المتجانسة ، وتشغيل المعلومات ، والتداعى السريع للأفكار .

١ . سانتيانا : الإحساس بالجمال - ص ١١٩ ، ١٢٠ .

ولذلك نلاحظ أن الطفل خاصة في السنوات الخمس أو الست الأولى لا يتفاعل جمالياً مع الأشياء إلا فرادى . ويسعد بتفكيك الأشياء ليكشف من مكانها جمالها لأن الوحدة تعتبر مانع أو حاجز يعوق إدراكه بصفة عامة ، ويبدو أن السعادة التي نراها على وجوه أطفالنا وهم يخرجون كثرة الشيء عن وحدته هي بهجة جمالية وليست قوضوية كما نتهمهم عادة .

ج - خبرة صناعية وليست تأملية :

و لما كان إدراك الطفل ادراكاً تجزئياً طموحاً يخرج كثرة الأشياء عن وحدتها ولا يشعر بالبهجة و المتعة إلا حين تفعل يدها و يضيف فعله بالكسر أو بالفك أو بالبعثرة، فإن هذه الخبرة هي خبرة صناعية وليست تأملية ، لان التأمل يقتضى الصمت ثم التأمل ثم الوعي بالمعنى ، ثم البهجة الجمالية ، أما الطفل فهو العكس تماماً ، فالبهجة لديه ترتبط بالحركة و الديناميكية و أحياناً العنف مع الأشياء الجميلة رغم حبة الشدائد لها .

و لعل هذه الخاصية هي التي أثارت اهتمام جون و إيفلن ديوى فى مدارس المستقبل " حيث افردا فصلاً مهماً عن التربية و التعليم عن طريق الصناعة اوضحاً فية أهمية استغلال قدرة الاطفال على استخدام ايديهم و عضلاتهم و حواسهم فى مناشط صناعية تعلمة الخطوات الاولى فى الصناعة، صناعة الأشياء الضرورية لة تمهيداً لمستقبل افضل فى مجتمعة^١

١ . جون ديوى ، إيفلن ديوى : مدارس المستقبل - ص ٢٨٦ .

إلى هنا و بعد استعراض هذه النقاط الثلاث التي تشخص لنا طبيعة موضوع اهتمامنا، نستطيع ان نضع المنهج الذي يدعم هذا الوعي الجمالى ، ويرقى من فاعليته و هو منهج للتربية الجمالية يرتكز على فرضية اساسية هى امتلاك الطفل لوعى جمالى كمكون اساس فى فطرتة ، وإن هذا الوعي تحركة الحاجة الجمالية التي تخضع بدورها إلى إيقاع معين ، تزداد كثافته و تنوع درجاته وفقاً لما يبذلة القائمون على تدعيم و ترقية هذا الوعي فى المنزل و المدرسة و الاعلام .

خطوات المنهج :

١- قاعدة الحرية

كما اوضحنا سابقاً أن للطفل منذ ولادته خبرات متعددة تتطور و تنوع مع نموه الإدراكي و النفسى و الجسمانى ، و حاولنا تحديد طبيعة الخبرة الجمالية وسط هذه الخبرات ، و وضعنا ايدينا على سمة مميزة لها و هى إنها خبرة تشكيلية فاعلة ، و مما لا شك فية ان هذه الخبرة تتضح فى أثناء لعب الطفل ، و إن كان علينا التمييز بين لحظة اللعب و لحظة وعية الجمالى مع أشيائه و محيطه ، لأنها تلك اللحظة التي يضيف فعله ، و من الحقيقى ان الطفل - كما قلنا - يبدأ بيده و يفعل بيده و عضلاته ، و لما كان " الإبداع الفنى " هو تفاعل اليد مع الفكر حيث تتأزر اليد النشطة بحركة إيقاعية مع تأمل و تدبير و إعادة صياغة و تحوير و تغيير .

و لذا فإن الطفل يمتلك وعياً جمالياً و يبدأ فاعلة ، و ما ينقصه " للإبداع بوجه عام " هو القدرة على التأمل ، و التفكير و التجريد و التعبير ، لأننا لا نقصد بهذا المنهج للتربية الجمالية ان نجعل من كل أطفالنا فنانيين و إنما نقصد به

أن يكونوا مبدعين ، لأن الابداع هو قدرة المرء على أن يتفاعل مع موضوع مألوف بشكل غير مألوف، فيبتكر لنا غمطاً أو نموذجاً أو نظرية أو تصميماً يضيف به تقدماً و رقياً لوطنه .

وفي ضوء ذلك نقول إن " الحرية " أمر ضرورى لدفع و تحريض ملكات الملاحظة و التأمل لإعادة التشكيل على نحو جديد ، و ذلك يتطلب منا :

• تهيئة مكان يلعب فيه الطفل مع لعبه - بحرية - والتي يجب أن نراعى فيها قابليتها للتفكيك و التركيب على أنحاء مختلفة .

• تقديم إمكانيات متنوعة للتشكيل الفنى كالأوراق والأقلام الملونة وتبادل الأدوار على فترات لأن الأطفال يفضلون التكرار والتغير .

• المراقبة غير المباشرة عن طريق تفكيك بعض التشكيلات على نحو مختلف ليقوم الطفل بتعديلها، لأن استجابة الأطفال - كما تقول سوزانا ميلسر - للجدد والتنوع أكبر من استجابة الكبار .

• تشجيعه عندما يقلد الأصوات المختلفة طيور أو حيوانات أو أدوات لبعض الايماءات الحركية مصورا تعبيراً ما .

• تحريك قدرة ممارسته للإيقاع فى كل أشكاله .

نلاحظ فى كل النقاط السابقة أهمية احترام حرية الطفل وتدعيمها لأنها المرآة التى تعكس لنا طبيعة وعى الطفل وخبرته الجمالية ، إذ انه وعى حر وتلقائى وخبرة منزهه عن الغرض Disintrestedness ، يهرب فيها الطفل من أى خبرة يطل منها

١ . سوزانا ميلسر - سيكولوجية اللعب - ص ١٥٠ .

العنصر العملى ، فهو يجد فيها اللقاء الحر بوجداناته حيث التلاعب الحر بين الخيال والعقل كما يقول كانط ، فيبدو إن خبرة الطفل الجمالية هى تلك الخبرة التى يقصدها كانط تلك الخبرة التى لا يقوى عليها الكبار بعد فعل المؤثرات الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية والثقافية .

وهكذا نستطيع القول إن نشاط اللعب هو الجغرافيا التى تتحدد فيها بالملاحظة والتدعيم والتربية مناطق الفاعلية التى يمكن توظيفها فيما بعد كأنشطة جادة، لأن اللعب - كما قلنا سابقاً - ليس تفريراً لطاقة فائضة ، بل هو النشاط الجاد بالنسبة للطفل ، ولذلك نوافق هربرت ريد على أن اللعب شكل من الفن^١ ، وذلك لأن الفن هو طريق الانسان إلى السعى الدائم نحو التفاعل مع الحياة والكون فى كل أشكالهما ومن خلال الفن وبه تتخذ الحياة أشكالاً متنوعة وإيقاعات جديدة .

فعلى سبيل المثال اذا تم استثمار " قاعدة الحرية " فى اللعب للكشف عن قوة التشكيل لدى الطفل من خلال التدخل غير المباشر فى توجيهه إلى تشكيلات غير مألوفة ، فإنه يستطيع التعبير عن حياته الداخلية : مشاعره - عواطفه - إنفعالاته فى الوسيط الذى قدمناه له كالألوان، أو الصنصال أو الايقاع (أوج صغير أو بيانو أو قيثارة) ، ثم مع نموه العام سيصبح له رموزه الخاصة التى يمثل بها أفكاره وانفعالاته التى تكشف لنا - فى نفس الوقت - مستوى وعية العام وتوازنه النفسى وقدرته المعرفية .

١ . هربرت ريد - التربية عن طريق الفن - ص ١٥٣ .

ولعل رسومات الأطفال التى . كانت موضوع أبحاث د. محمود بسيونى فى كتابه "رسومات الأطفال" و د . شاكر عبد الحميد فى كتابه الموسوعى "الطفولة والابداع" والدراسة الجيدة للاستاذة سونيا ولى الدين "الطفل والفنون التشكيلية" أوضحت القدرة التشكيلية وكذلك القدرة الرمزية لدى الطفل التى يمكن أن تكشف عن طرق متعددة لتربية الطفل وتنشئته تنشئه سليمة ، بالاضافة إلى أهمية العمل على استقلالية الوعى الجمالى لديه بمعنى تمييزه وعدم مزجه أو إذابته فى مناشط أخرى .

٢- قاعدة التشخيص Personification .

يقال ان الشكل التصورى المجازى للوعى أقدم من الشكل المنطقى^١ . لأنه الشكل الذى يقوم على العلاقة الحوارية مع أشياء الحياة وظواهر الكون بمعنى آخر كانت العلاقة بين " أنا " و " أنت " حتى ولو كان جماد فهو يتحدث معى ، وله انفعالاتى ، ويعانى نفس مصيرى ، ولذلك لا تتغير طبيعة العلاقة إلا بعد ممارسة العقل للفكر المنطقى والعلمى، وقدرته على تحويل واختزال الـ "الانت" الحاضر الحى إلى " غائب " مجرد . هكذا وُعى الطفل ، فهو :-

- وعى جمالى بالعالم .
- يهتم بالتفاصيل والجزئيات أكثر من الكليات .
- يتحرك خياله بالحوار مع العيانى Concreteness .

١ . غيورغى خاتشف - الوعى والفن - ص ١٤ .

في ضوء ذلك فإن " التشخيصي " أى اضافة الصفات الانسانية على " الأخر " سواء كان نباتاً أم حيواناً أم طيراً أم جماداً يدعم الوعي الجمالى لدى الطفل ، لأنه من خلال هذا التشخيص يتحاور الطفل مع أشياء العالم ، السماء و النجوم ، والقمر والشمس ، والبحر والجبل ، والسهل والنهر ، والبط و الأوز ، والأرنب والفرخة ، والفأر و القطة ، والاسد والنمر ، وهكذا ومع الحوار تتحول اشياء الطبيعة إلى كائنات يجيبها الطفل ويجب أن يعرف عنها كل شئ ولذلك فهو يرسمها كأول تعبير عن حبه لها ، فى البداية قد يرسمها رمزاً تمثيلاً كتلك الطفلة التى رسمت وثبات الأرنب على هيئة نقاط متلاحقة مع نطقها هوب هوب هوب^١ .

ومما لاشك فيه أنه لا يمكن الفصل بين تطور الوعي الجمالى وبين تطور بقية جوانب الادراك والذكاء ، والانفعالات والحدس فى الطفل ، كما ان بحث الوعي الجمالى فى عزله تامة عن هذه الجوانب يكون بحثاً غير ذى جدوى .

ولذلك نجد ارتباطاً عاماً بين الوعي الجمالى وترقى ذكاء الطفل ، لأن الذكاء من حيث كونه عملية معرفية متكاملة تحتوى أنشطة متعددة : تجريدية، وميكانيكية ، واجتماعية هو المهى لاستجابة افضل ، بمعنى اخر هو مجال حركة الاستجابة فى درجتها ، فإذا ارتفع الذكاء كانت الاستجابة عالية، وإذا انخفض تصبح ادنى وهكذا ، لأن الذكاء على الرغم من التعريفات المتعددة لعلماء النفس - يمكن ان نتفق مع بينية و سبيرمان على أنه " قدرة عامة " تصبح

١ . د. شاکر عبدالحميد - الطفولة والإبداع - الجزء الثالث - ص ٢٤٣ .

نوعية مع دخول عوامل فرعية كالبيئة ، والتربية وكثافة الخبرات وغيرها من العوامل^١ .

وبذلك فإن " قاعدة التشخيص " اذا كانت تدعم الوعي الجمالى الذى اذا تفاعل بدوره مع الذكاء فسنبجد إنها يمكن أن تحقق ما يلى : -

أ - تزيد من الترقى المعرفى لدى الطفل ، فيعرف أن السمك يعيش فى الماء ، والفرخة تبيض ولا تلد ، والفأر يختلف عن القط ، والتعلب يمكن أن يتغلب على الأسد بدهاته ، لأن الطفل سوف يستنتق المعطيات العلمية من حوارهِ التشخيصى مع الكائنات والظواهر .

ب- ترقى قدرة الطفل الفنية - سواء فى الرسم أو الموسيقى أو تشكيل مواد كالصلصال أو غيره - حيث ان الحوار التشخيصى يدعم الملاحظة لدى الطفل للألوان ، والأحجام والنسب والأصوات .

ج- التفكير بالصور : إن التشخيص هو إقامة علاقة مجازية مع شئ ، ويبدو أن مثل هذه العلاقة تفتح أفقاً لقيم جديدة فى وعى الطفل بشكل عام تتعدى حدود الترقى المعرفى ، والقدرة الفنية ، وهى القدرة على التفكير بالصور لفهم العالم من حوله ، هذا النوع من التفكير الذى اعتقد انه " اللغة " التى تتعامل بها تكنولوجيا المعلومات الآن ، فالقصة الواقعية التى وردت فى كتاب " العرب وعصر المعلومات " للدكتور نبيل على تؤكد ذلك ، حيث تروى القصة إنه عندما كان يتفقد القائد الأمريكى القوات

١ . د . شاكِر عبد الحميد : الطفولة والإبداع - الجزء الثانى - ص ١٧٩ .

الأمريكية فى حرب الخليج سأل الجنود كيف تحققون هذا النجاح الباهر فى معركتكم الأولى ، رد أحد الجنود ، لم تكن معركتنا الأولى يا سيدى ، فلقد حاربنا ثلاث معارك فى مركز التدريب القومى فى فورت إروين بكاليفورنيا ، وأربع معارك فى مركز التدريب على المناورات القتالية فى هيو تيفيلز بألمانيا وعدة معارك أخرى باستخدام نظم المحاكاه الألية . Siment - Caft - BCTP لقد اشتبكنا من قبل بالفعل يا سيدى فى عدة مرات ، وجاءت معركتنا الحقيقية فى الخليج أقرب ما تكون لما تدرّبنا عليه ^١ .

ولعل ذلك يتأكد من خلال وصف إرنهايم - فى كتابه "التفكير البصرى" **Visual thinking** ، إنه إذا اراد المرء أن يتعقب التفكير البصرى (أى عمليات فهم العالم من خلال الصور) فإنه يجب أن ينظر إلى الأشكال والعلاقات جيدة التكوين وهذه الأشكال توجد - فعلا - فى رأيه فى الأعمال التى تنمو فى المستويات المبكرة من الارتقاء . ومن أمثلة هذه الأعمال رسوم الأطفال لأن عقل الصغير ينشط من خلال أشكال أولية اساسية بسيطة يمكن تمييزها بسهولة عن تعقد الموضوعات التى تصورها ^٢ .

ويترتب على ما سبق ضرورة الحديث عن الوعى الجمالى والابداع لارتباط ذلك بالوعى الجمالى والذكاء ، فعلى الرغم من تعدد تعريفات الابداع فإننا سوف نقف عند استخدام بارتليت **D . Bartlett** "مفهوم التفكير المغامر" **Adventraus thinking** . ليصف السلوك الابداعى وعرفه بأنه الابتعاد عن الطريق الأساسى وتخطيط القوالب السائدة والانفتاح على الخبرة والسماح لشيء معين ان يؤدى إلى شيء آخر ^٣ .

١ . د . نبيل على - العرب وعصر المعلومات - ص ١٩ .

٢ . د . شاكى عبدالحميد - الطفولة والإبداع - الجزء الأول ص ١٢٦ .

٣ . د . شاكى عبدالحميد - الطفولة والإبداع - الجزء الثانى ص ٢٢٩ .

ويبدو أن هذا التعريف يشابه تعريف كانط للإبداع من إنه قدرة استخدام الأشياء بشكل غير عادى أى بطريقة مبتكرة . وفى ضوء التعريفين يمكننا ان نتساءل ما الذى يجعلنا نستخدم الأشياء العادية بشكل غير عادى ومن ثم نتميز به ؟ وللإجابة على هذا السؤال نقول إنه القدرة على إدراك العلاقات ، وهذا يعنى أن ارتباط الوعى الجمالى عند الطفل (منذ الرابعة أو الخامسة) بالذكاء يجعل منهما نوعية خاصة من الوعى يمكن تسميته " بالوعى المركب " ، أى وعى بالعلاقات بين الأشياء وكلما تفاعلت هذه السبيكة المكونة من وعى جمالى وذكاء وإدراك علاقات ، كلما دقت ملكة التباديل والتوافيق ، أى القدرة على إكتشاف علاقات جديدة ، فإذا كان الطفل يدرك أن أ سبب فى حدوث ب وأن ب سبب فى حدوث جـ ، مع فاعلية السبيكة النوعية من الادراك سيدرك علاقة جديدة ولتكن د ، وهذا هو "الإبداع" أى الفهم الأعلى للعلاقات التى بدأت بحوار تشخيصى بين الأشياء الحية أو الجامدة ، إذ تم التعاطف الجمالى ثم المعرفى ثم الإبداعى .

٣- قاعدة البساطة :

لفهم هذه القاعدة لابد أن نعود إلى خاصية من خصائص الخبرة الجمالية للطفل وهى خاصية الكثرة خارج الوحدة ، تلك الخاصية التى اوضحت لنا أن الطفل لا يتعامل الا مع مكونات فردية لا هارمونية أو مركبة . فعلى مستوى الأشكال لابد أن تدعم وعيه الجمالى من خلال أشكال مفردة خط . دائرة ، مثلث ، وعلى مستوى اللون هو أيضاً يتهج باللون المفرد الصارخ أو اللامع وكذلك على مستوى الصوت فهو يميل إلى الإيقاع Rhythm ولا يستسيغ اللحن

Melody أو الهارموني (التوافق الصوتي) Harmony وذلك لأن اللحن يضيف الإرتفاع والإنخفاض للصوت من حيث سرعة الذبذبات أو بطئها وكذلك الهارموني الذى هو توافق بين صوتين أو أكثر فى وقت واحد ، ولكاتب هذه السطور تجربة وهى تتعلم البيانو مع مجموعة من الأطفال - فى أحد القصور الثقافية - لاحظت سرعة حفظ الأطفال من (٥-٨) للوحة الإيقاعية (تا - ت - ت - ف - ت - ف) ، ت - ت - ت - ف) عن حفظهم للأشكال الإيقاعية مثل (الروند O ، والبلاش البيضاء P ، والنوار السوداء d ، والكروش ذات السن ، وذات السنين) وذلك لأن اللوحة الإيقاعية ذات زمن واحد مع إختلاف الأشكال ، أما الأشكال الإيقاعية فلكل زمن شكل مختلف .

ولذلك فإن تدعيم الوعى الجمالى يبدأ من الأجزاء ومن الوحدات والعناصر ، ابثم مع النمو العام للقدرات تصقل إمكانيات الطفل ويتذوق التركيب والتأليف ، وهناك قصة بول كلى Poul Klee ، والفنان والمدرس فى نفس الوقت على تلاميذ ، اعتقد " كلى " ان للخطوط lines وللنقاط dots ، وللملمس Textures حياة ومن هذا الاعتقاد قدم لتلاميذه القصة التالية التى سنحاول رسم أجزائها . لقد أطلق كلى على القصة " فلنأخذ الخط إلى نزهة " "Taking a line for a walke" .

١ - لقد ولد خط .

٢ - بدأ يتحرك .

٣ - بعد فترة من السير توقف .

٤ - أراد أن يتنفس .

٥ - ثم نظر ورائه ليرى كم قطعنا من مسافة .

٦ - وجدته حائراً أى طريق نسلكه ، ثم تراجع .

٧ - أمامنا نهراً .

٨ - يجب علينا أن نعبره ولذا أخذنا قارباً .

٩ - هناك كوبرى بعد النهر .

١٠ - علينا أن نعبّر حقلاً محروثاً ثم غابة كثيفة .

١١ - قابلنا فى الطريق بعض صناع السلال وهم فى طريقهم إلى منزلهم فى عريه ،

وكان معهم طفل مجهد الشعر .

١٢ - بعد ذلك هبط الليل ، وكان هناك ضوء فى الأفق والنجوم تتلألأ .

١٣ - ثم هبت عاصفة من الذباب علينا ووجدنا أنفسنا نجرى

ونقاتل الذباب .

فى الواقع ، على الرغم من بساطة القصة ، إلا أنها فى إعتقادى - تدعم وعى الطفل الجمالى بالحدث وتطوره وفاعليات الشخصوص ، وعبقرية " كلى " تتحدد فى اختباره للخط بطل ، وذلك الاختبار الذى يقوى خيال الطفل ويدعم ملكة الملاحظة عنده ، لأن فكرة القصة كما جاءت " لبول كلى " سببها ملاحظة خط ترمومتر الحرارة ، الموضوع على سرير ابنه فليكس filiex وقد وصلت إلى الاربعين درجة ، ومن ثم كانت حركة الخط قدر ومصير " لبول كلى " ، ومن هذا الموقف العصيب الذى عاشه مع الخط وحركته ، اخترع تلك القصة وجعل بطلها الخط وقصها على تلاميذه ليلفتهم إلى أن كل شئ ولو صغيرا له شخصية ومعنى فى حياتنا اليومية^(*) .

وبذلك يمكن القول ان قاعدة البساطة تعمل على تحريك خيال الطفل التشكيلي للعناصر و للجزئيات وذلك لا يتعارض مع طبيعة وعيه الجمالى ، إلا إنها فى نفس الوقت تحرض فيه القدرة على تكوين الصورة ذات المعنى الرمزي الذى يعبر عن شعوره الانسانى فى حالة كونه نواة فنان ، إذ أن الفن هو إبداع أشكال أو صور رمزية تمثل الشعور الانسانى¹ .

(*) القصة وردت فى كتاب How to Enyjoy paintings لمؤلفه الرسام Andrew wright ، ولكن بدون تصويرها رسما ، إلا أن المؤلفة حاولت تمثيل مواقف القصة ، لعل فى ذلك الفائدة لأطفالنا .

¹ S. Langer " Feeling and form , p . 40 .

٤- التثبيت والتكرار :

الطفل هو الكائن الوحيد الذى يمكن أن يتنازل عن طعامه فى مقابل شئ جميل (لعبة . منظر جميل) لأنه يمتلك الاعجاب الساذج البرئ الحر ، واعجابه نابع من الحب والشعور الوجدانى الخالص ، ولما كان الطفل أقرب من الانسان البالغ الى النبع الصاقى للحياة فى نقائها ، فهو يشب بخفة نحو زهرة ، ولا ينس أبداً لحن جميل فيردده ، ويشاهد بلهفة وحب صور الكرتون وهى تتحرك أمامه بألوانها الزاهية وأشكالها الدينامية .

ولذلك فإنه من السهل تدريب ورعاية حاسة الجمال فى الطفولة من خلال التثبيت والتكرار ، فهو كما يقول د. يوسف مراد ، مرهف الحساسية ، طليق الخيال يحظى بقسط كبير من الحرية ، ولم يتقيد بقيود المنطق والمعارف العقلية ، لأن جانب النشاط الوجدانى فيه أقوى وأشمل من أى نشاط آخر^١ . وعلى ذلك فإن هذه الثروة الوجدانية لا بد ان نستثمرها على نحو جيد ، بمعنى نثبت فى داخله خبرة تذوق للإيقاع ، والتوازن وتمازج الألوان ، وأيضاً للتناسب فى الأحجام .

ولعل أول ركيزة فى التثبيت والتكرار تعود بنا إلى ماقلناه عن خبرة الوعى الجمالى لدى الطفل من حيث كونها خبرة تشكيل فاعلة تتميز بقدرته على إضافة فعله على ما يحيط به ، أو ما يلعب به من الأشياء وغيرها : فكيف نثبت الخبرة الجمالية ؟ لتثبيت هذه الخبرة نعمد إلى إحداث توترا ما فى نفس الطفل حين نختار ألعاب قابلة للتفكيك و التركيب على انحاء متعددة ، فانتهاز فرصة تفكيكه للعبة واهمالها بعيدا ، لأنه - كما قلنا - لا يتذوق شيئا الا وهو فرادى فأقوم بشكل غير مباشر بتركيبها

١ . د. يوسف مراد : علم النفس فى الفن والحياة . ص ٢٩ .

واتركها دون ان انبه إلى ذلك ، فيبدأ يلاحظ الشكل الجديد الذى تم تركيبه ، ثم قد يفكها مرة أخرى ، فأقوم بتكرار نفس العمل ، وقد اغير فى طريقة التركيب بحيث يحدث شيئا مختلفا ، وأتركها ، فيبدأ يلاحظ ويتذكر الفروق ويتوتر تمهيدا لسلوك تشكيلي فاعل نابع من ذاته ، وتبدأ لحظة " التهيؤ " التى سبقها ملاحظة وتذكر وتوتر ، هذه اللحظة يراجع فيها تفاصيل اللعبة وكيفية تركيبها على نحو كلسى ، قد يخطأ مرة ومرة فى التركيب ، إلا أن التكرار الذى نعمل إليه على نحو غير مباشر ، يدفع بالطفل إلى ما يسميه علماء النفس " المرونة التكيفية " وهى قدرة الشخص على تغيير الزاوية الذهنية التى ينظر منها إلى حل مشكلة معينة^١ .

ويمكن القول إنه إذا كان هذا التثبيت والتكرار لمعطيات الوعى الجمالى وكيفياته لدى الطفل منذ ولادته من خلال المداعبة الايقاعية والألعاب ومشاهدة الكرتون ومسرح العرائس والحوار مع الحيوانات والطيور ، يحدث ما يمكن أن نسميه افقا نوعيا فى تذوقه لهذه الأشياء ، فإننا يجب أن نلفت الانتباه إلى ان هذا الأفق النوعى مع إزدياد نمو الطفل وازدياد قدراته الإدراكية والذهنية سيؤثر فى كل خبراته الجمالية سواء كانت فنون تشكيلية رسم ، ونحت أو موسيقى أو شعر تأثيرا متبادلا ، فعلى سبيل المثال تثبيت الايقاع وتكراره فى داخل الطفل سيحقق قدرته على تذوق الرسم أو ابداعه ، لأن الإيقاع عنصر مشترك فى هذه الفنون يوازية اساس مشترك فى الحواس المتباينة فى الانسان وهو ما نسميه بالحساسية المشتركة synesthesia^٢ .

١ . د. مصطفى سويف : دراسات نفسية فى الفن - ص ٢٥ .

٢ . أنظر د. مصطفى سويف: دراسات نفسية فى الفن - ص ٣١ وقد تحدث عن مقال جيد بالتفصيل لأريك هورنوستل عن «وحدة الحواس» لا يسع المقام الحديث عنه.

٥- اشاعة جو الطمأنينة والتقدير :

اعتقد ان هذه القاعدة يتفق عليها كثير من المهتمين بتربية الطفل جمالياً ، لأننا اذا اردنا ان نعلم الطفل كيف يتذوق وكيف يفكر ثم كيف يسلك ، فلا بد ان نحيط الطفل - كما يقول د. يوسف مراد - بجزر من السعادة والطمأنينة والتقدير ، وأن نتيح له أكبر عدد ممكن من الفرص لكي يعبر عن نفسه ^١ . وذلك يعنى المشاركة الوجدانية لفاعلياته وتقييمها تقييماً رقيقاً ، فالخاولات الأولى - كما يقول د. محمود البسيونى - لمسك القلم تتم عادة بمعاونة الأم التى تعتاد تقديم نموذج الرسم والأكثر من ذلك تيسر نموذج الحركات الخاصة بالذراع واليد ، وفى معظم الحالات هناك كم خفيف من الرقابة النقدية ويحدث ذلك حينما نقول مثلاً : " اين أنف بابا " " اين ذيل دوجى " ^٢ . وبذلك نستطيع تنمية الامكانيات الابداعية لدى الطفل وتحويلها ، بتوفير جو خصيب - إلى طاقة فعل تتكشف فيها قدراته ، متأزرة دون خوف أو تهديد وفى ذلك يؤكد - د. شاكر عبد الحميد - على أهمية توافر شرطان أساسيان فى بيئة التعليم والتربية سواء فى المنزل أو المدرسة ، يتعلق الشرط الأول بوجود الأمن النفسى أى شعور الطفل بقيمته الذاتية ، سواء كان بنتاً أو ولداً - والشرط الثانى وجود مرب يستطيع أن يقنع الطفل بأن يقدر مشاعره وإنجازاته من وجهة نظر الطفل نفسه وليس من وجهة نظر الراشد ^٣ وهو عين ما أكد عليه - د. زكريا إبراهيم - فى كتابه " الفنان والانسان "

١ . د. يوسف مراد : علم النفس فى الفن والحياة - ص ٣٠ .

٢ . د. محمود البسيونى : رسوم أطفال ما قبل المدرسة - ص ١٧٤ .

٣ . د. شاكر عبد الحميد - الطفولة والإبداع - الجزء الرابع - ص ٧ .

بقوله : " ليس من الحكمة فى شئ أن يتدخل المعلم باستمرار فى صميم تجربة الطفل ، بل لابد أن نتركه يجرب بنفسه ولنفسه ، فإذا كان الطفل بصدد مطالعة إحدى القصائد أو مشاهدة إحدى اللوحات أو سماع إحدى المقطوعات الموسيقية ، وجب على المعلم أن يلتزم الصمت حتى يدع للتلميذ فرصة تذوق " العمل الفنى " بنفسه، ومعنى هذا إنه لابد للطفل من أن يكتسب خبرته الجمالية بمجده الخاص ^١ .

وفى ضوء ذلك نقول إنه باشاعة جو الطمأنينة والتقدير لتدعيم وعى الطفل الجمالى ، سيتعلم الطفل الاعتماد على ذاته فى جو من الثقة والتكريس ، ومن خلال إدراكه الحسى للعناصر الإيقاعية ، واللونية ، والنسب ، والأحجام وكيفية تركيبها وتحويرها وتحديه لصعوبتها المتعددة خلال نموه منذ الشخبة العشوائية إلى الشخبة الرمزية إلى الخطوط التمثيلية إلى التشكيل الملون القاصد لمعانى ، سترز فيه ملكات الخيال والنقد والاستقلال فى الرؤية وهذه بدورها ترسم الطريق إلى الإبداع .

﴿ مظاهر الوعي الجمالى وفاعليته ﴾

يمكن القول بان للوعي الجمالى لدى الطفل ، مظهراً عاماً هو جنس لانواع فرعية من المظاهر تندرج تحته وتشاركه فيه ، فالمداعبة هى ذلك المظهر الجمالى العام لدى الطفل . والمقصود بالمداعبة - هنا - هو ذلك السلوك الحركى الذى يقترّب به الطفل من الأشياء - ومن ثم من العالم الخارجى بأسره - ليأنس إليها ليفهمها وينفتح عليها ثم ينفتح على ذاته من خلالها . لذلك كانت مداعبة الطفل للعالم الخارجى من حوله هى اكثر المداعبات جدية فى حياة كائن ، فهى مدخل إلى الفهم - كما رأينا - والأستكشاف والفاعلية وتنمية العلاقة بين الأنا والأشياء (وهذا هو الجانب النفسى والداخلى للمداعبة) . من هنا كانت المداعبة التى تقوم بين الطفل والأشياء هى المظهر الجمالى للبنية العقلية والنفسية لدى الطفل وتطورها .

وبذلك فإن مايجرّك المداعبة تعبير الطفل الوجدانى عما يغمر نفسه من احساس ورغبات وما يرد على قلبه من تخيلات واطياف ، يعبر عن كل ذلك فى مناغاته العذب وأصواته الايقاعية وشتى أنواع العابه وحركاته ، وفيما تخطه يده من رسوم وزخارف ، وما ينطق به لسانه من قصص وتعليقات بريئة^(١) ، ويتأكد ذلك فيما يسمى بنظرية الفرحة بالحياة ، فيبدو أن المداعبة هى أول مظهر يعكس لنا بهجة الطفل بالحياة بالمنأغة والأصوات الايقاعية التى

١ . د . يوسف مراد - علم نفس فى الفن والحياة - ص ٢٩ .

يطلقها وإيقاعات التخطيط التي تصور ما يهز قلبه من نبضات تنعكس في تنوع التخطيطات من مواجهة إلى دائرية إلى لولبية (٢).

وفي الواقع نجد أن المداعبة - وهي المظهر الجمالي العام - في علاقة الطفل بالأشياء ، تنطوي على جملة من المظاهر الجمالية الفرعية لدى الطفل ؛ فالطفل في مداعبته للأشياء متحرك في دائرة الاستخدام الجمالي للحياة ، إذ إنه لا يداعب الأشياء في وجودها الجهم ، بل في وجودها الهاش الباش ، حيث النعومة والملمس والليونة في القوام والعدوية في الصوت والبساطة في التركيب والوضوح في الأداء والمطاوعة في التشكيل والنصاعة في اللون والجهازية في الضوء والرشاقة في الحركة والرقعة في الإيقاع ، فالمداعبة بين الطفل والأشياء علاقة ديناميكية في دائرة يكون الاقتراب فيها من الأشياء قائماً على انتقالات جمالية فطرية الاساس فيها الاستحباب الحر الطليق .

ولعل ذلك يتضح بشكل تفصيلي في كتاب د. محمود البيسوني " رسوم الأطفال قبل المدرسة " حيث سأنتقى من نصوصه بعض ما يؤكد ما سبق ، فهو يقول إن الطفل لا يحكم سلوكه طول الوقت منطق الكبار ، وإنما ينبعث من المثيرات التي تحركه ليفحص الأشياء ويفهم كنهها ، كذلك حين يتناول الطفل من علبة شيكولاتته حفنة بكلتا يديه ، لا يكون همه أكل الشيكولاته ولكنه مفتوناً بألوانها الزاهية وبريقها ، الأمر الذي يشبع فضوله بدليل إنه يرصها فوق المنضدة متأملاً ألوانها متفحصاً الأحجام ، وعندما يشبع فضوله يعيدها إلى العلبة ، كذلك أيضاً شغف الطفل بالمجلات

١ . د. محمود البيسوني - رسوم الأطفال قبل المدرسة - ص ٢٤ .

المصورة وغضبية وثورته حين يأخذها والده تجنبا تمزيقها ، لان جل اهتمامه هو الصور وألوانها^١ .

ويبدو أن هذا الاقتراب - الذى يقوم به الطفل - من شأنه التوسيع من دائرة الاشياء ، ومن هنا كان اهتمام الطفل بنظافة اشيائه مظهرا جمالياً ناشئاً عن المداعبه للمسيه لها ، كذلك يكون إجهاد الطفل فى خلق نوع من (الحوار الخيالى) بينه وبين أشياءه ، تطوير لعملية الدنو والاقتراب من وجود الأشياء يرقى فى الطفل من مناهج المحكاة والسرد أو الحكى والانشاء والاستمتاع الذاتى ، بالملكة اللغوية التى تظهر فى مخاطبة الأشياء والنيابة عنها فى تأليف الردود ، ولنضرب مثلاً لذلك ، فحين تتحدث الأم أو الجدة مع طفلها أو طفلتها فنقول لها كلى أكلك " متبقيش عبيطة " تحفظ الطفلة كلمة عبيطة على أنها صفة سيئة ، ثم تردد هذه الجملة بعينها حين تتحدث إلى قطتها وتقول لها " كلى أكلك ماتبقيش عبيطة " هكذا تربط الطفلة بين صنعة العبط والقطه لأنها تنظر إلى الحيوان على إنه مساو لها وتعتقد أن ما توصف به يمكن ان يوصف به الحيوان . ومن هنا - كما يستطرد د. محمود البسيونى - فإن المغازى الاخلاقية يمكن أن يصدقها الطفل إذا جرت على لسان الحيوان ، وقد تفهم غدر الذئب مع الحمل ، ومكر الثعلب ، والدب الذى قتل صاحبه من الوفاء ، والكلب الأمين^٢ .

إلا أننا نضيف أن مداعبة الطفل للأشياء بذاته ، يتفرع عنها مداعبة للأشياء بالأشياء فى مظهر جمالى مباشر الأساس فيه إدراك حسى للعلاقات بين الأشياء ، فيترجم عن ذلك بخطوط الأقلام على مسطحات الورق ، وفى توزيع مساحات عشوائية من

١ . محمود البسيونى : رسوم الأطفال قبل المدرسة أنظر بالتفاصيل فى : ص ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٤٣ .

٢ . د. محمود البسيونى - المرجع السابق - ص ١٥٧ ، ١٦٠ .

اللون على الجدران ، وفي الايقاعات غير الرتيبة لطرقات ملعقة في جوف طبق إلى غير ذلك.

ويبدو إننا يجب أن نتوقف - هنا - قليلاً لمناقشة قضية هامة يثيرها دائماً المهتمين بالتربية الجمالية للطفل ، سواء أكانوا سيكولوجيين أو تربويين، من حيث قياس ذكاء الطفل أو تطوره المعرفي من خلال إنتاجه الفني ، فمثلاً يلخص جاردر حركة التطور في التخطيط عند الأطفال ، حيث يبدأ الطفل منذ العامين يستمتع بالاحساسات المتوترة **Motoric Sensations** ، ثم يتدرج إلى إدراك التباين بين التخطيطات القائمة والسطح الأبيض ، ثم الأشكال الهندسية ثم ينتج أشكالاً يمكن التعرف على مصادرها فيستخدم فرخ الضفدع **Tadpole** ليمثل كل البشر ، وكذلك تصنيف لامبرت بريتان لتخطيط الأطفال وتطورها من تخطيطات عشوائية ، إلى تخطيطات مقصودة إلى تخطيطات تمثيلية^١ .

في الواقع إننا لا نستبعد مطلقاً الزوايا الجيدة التي من خلالها يعالج السيكولوجيون والتربويين من الأطفال إلا إننا نود أن نلقى ضوءاً جديداً على الزوايا الجمالية أو الاستطبيقية ، التي يتم توظيفها في التربية الفنية أو علم النفس على نحو تجريبي من حيث تدريب الطفل على أن يعنى بالتفاصيل وتراكيبها وعلاقاتها الجمالية دون الإهتمام بتحليل طبيعة الخبرة الجمالية التي تحدث هذه الرسوم وغيرها من إبداعات فنية ، وكما يتضح ذلك لا بد أن نذكر ما قلناه من ان وعى الطفل بالعالم هو وعى جمالي وهو وعى متنام يتطور على نحو كفي ، فهو يرى الأشياء بداية كتل ضخمة

١ . د. محمود البيونى - المرجع السابق - ص ١٥٧ ، ١٦٠ .

ويسمع الأحداث كثرة متنوعة ، ولذا فإن وعيه الجمالى يبدأ كمياً ويتضح ذلك فيما يسمى بالشخبطة المتشابكة الكثيفة أو ما يحدثه من أحداث غليظة بالملاعق ومع تطوير وعيه الجمالى كفيماً - وهو لا يتطور إلا بترقى قواه الإدراكية والحسية والذهنية - يترقى وعى الطفل بذاته وبالأشياء وينعكس ذلك على درجة رقى المداعبة، حتى تخرج فى نهاية مرحلة الطفولة عن عفويتها وسذاجتها ، لتصبح نوعاً من الفعل الفاهم ، ولتبدأ التمييزات النوعية تعرف سييلها إلى قلب هذه المداعبة لتخلق منها أنماطاً أرقى من السلوك وتحصيل الخبرة .

بعض مظاهر التمييزات النوعية لوعى الطفل الجمالى :

يرتقى وعى الطفل الجمالى عن نحو كفى فى الرسم مثلاً حين يختار الشكل المناسب لمضمونه الذى يعبر عنه ، وذلك لأنه فى البداية يعبر ذاتياً عن وقع الأشياء فى وعيه ثم مع نموه والتحاقه بالحضانة والمرحلة التعليمية يفعل " البعد الإجتماعى " فعلة من خلال التعليم والرحلات والعلاقات المتبادلة بينه وبين أقرانه ومدرسيه حيث يتم الاتفاق على تعريف الأشياء وعلاقاتها وتسمية كل شئ باسمه وإندارجه فى فئات ، وبالتالي يبرز فى وعيه " البعد الموضوعى " فينعكس ذلك فى رسوماته عن الأشياء كما هى بألوانها واحجامها مستخدماً معلوماته عنها ثم بعد ذلك يتم التفاعل بين الطفل وبيئته وخاصة فى السنوات الأخيرة من الطفولة أى منذ العاشرة ، فتنعكس هذه الخبرات التفاعلية على شكل ومضمون رسوماته حيث يتكون داخله معياراً موضوعياً وينمو وعية النقدى ، فنجد رسومات هذه المرحلة تعبر عن معانى مجردة : كالحب ،

والإيمان ، وصورة الوطن فى نفسه ، ومعنى الأسرة ، والربيع والقرية وهكذا فى الموسيقى والنحت والشعر .

ولذلك فإن ما ينتجه الطفل فن له خصوصيته وجمالياته ، لأن ما يميز الفن هو أنه تعبير صادق ، وخيال حر طليق ، واعتقد أنه لا يختلف أحد على صدق الطفل وحرية خياله القادرة على تشكيل الواقع فى أشكال وتعبيرات يعجز أروع الرسامين على محاكاتها ، ولعل هذا ما قصده المصور " بول كلى " - الذى اشتهر بأن رسوماته تشبه رسومات الأطفال - حيث يقول : لا تترجم أعمالى إلى أعمال الأطفالإنهما عالمان منفصلان لا تنس أبداً أن الطفل لا يعرف شيئاً عن الفن أما الفنان فعلى العكس فمشغول بتلويناته الواعية ، والتى تبرز معانيها التمثيلية بقصد من خلال تداعيات اللاشعور * . فبول كلى من خلال رسومات ابنه فيلكس Felix وصل إلى هذه النتيجة حيث أدرك أن سام الناضج يعنى تماماً التمييز بين الخيال والواقع . ويعرف جيداً متى يهرب من قع إلى الخيال أو العكس ، أما الطفل - كما قلنا - فهو يشكل الواقع من خلال خياله ، كذلك فإن الطفل لا يعنى الفن كتكنيك وصنعه وإنما هو مجرد تعبير حر لديه ، ولذلك محاولة إيجاد علاقة بين رسوم الأطفال ورسوم فناني الفن الحديث كخوان ميرو وبيكاسو ، وبول كلى هى محاولة خاطئة ، فالفنان الحديث يمارس من الأطفال كأسلوب واعى قاصد ،

١ . هذا النص ورد فى كتاب الدكتور محمود البسيونى - رسوم الأطفال قبل المدرسة - ص ١٥٧ .



بمعنى إننا يجب ألا نقول إن ميرو في لوحته " أشخاص و كلب أمام الشمس " أو بول كلي في لوحته : " صورة الطفل ، وحيوانات تحت ضوء قمر مكتمل " هي رسوم تشبه رسوم الأطفال ، بل هي رسوم تحاكي أو تمارس أسلوب الطفل في الرسم .

وأخيراً نتساءل ما الذى يفعله الوعى الجمالى فى الانسان بصفة عامة ؟

أعتقد أن الإجابة ستأخذ طريقها فى التفسير فى ضوء كل ما سبق ، قوله ، لذا يمكن القول إن الوعى الجمالى طاقة نولد بها ، ولكنها طاقة غير محددة الهدف تحتاج الملاحظة والقدرة على تنميتها بنفس القدر الذى تنمى به القوى الأخرى ، ثم تستثير هذه الطاقة فى الانسان كل ملكاته الحسية والادراكية والحركية ، ولكن عوامل المواهب الخاصة تحدد لنا الاختلاف فى التعابير عن هذا الوعى ، بمعنى أن حالة الاستثارة الجمالية تكون أقوى فى ملكه عنها فى ملكة أخرى ، فقد يحرك الوعى الجمالى عند تحوله إلى حالة جمالية تتلبس الانسان ، فتثير فيه ملكه البلاغة اللفظية فينظم الشعر أو تحرك الميل إلى عمل تكوينات وأحجام فيرسم أو ينحت أو يتحرك فيه القدرة على الخيالات الصوتية المبهمة فيؤلف الموسيقى وهكذا .

وبذلك تنوع الفنون في أشكالها أما المضمون الذى تعبر عنه فهو واحد هو القيمة الجمالية التى تتجلى فى شكل يحقق المتعة الجمالية ولكى نحكم عليه بأنه شكلاً جميلاً فلا بد أن يتصف بعدة خصائص أو سمات تجعله شكلاً حياً ودينامياً :

أ - لا بد أن يتصف " الشكل الفنى " لأى عمل فنى بالنمو التدريجى أو التطور الداخلى بحيث يصل بالمتلقى إلى حالة الارضاء ، وذلك لأن جانباً كبيراً جداً وهاماً من مهمة الفنان هو تنمية الوعى الجمالى لدى المتذوق .

ب- الكشف والجدة ، ونقصد به أن الفنان من خلال الشكل التعبيرى الجديد الذى ابتكره عن موضوع مألوف لدينا ، إنما يرمى إلى أن يبدى للمتلقى وجهاً جديداً أو بعداً قد يغيب عنه فى زحمة اهتمام المتذوق بجزئيات الحياة وتفصيلاتها .

ج- تنمية الخيال بمعنى أن الأشكال المختلفة للفنون تعد اسهاماً جيداً فى تنمية الخيال فهى تبين من خلال هذه الابداعات اللامحدودة إنفتاح القيمة بلا حدود ، وهذا جعل كثير من الأعمال الفنية سبباً فى إبداعات حضارية ليس لها صبغة فنية ، فمثلاً ، قصص الخيال العلمى لـ H.G.wells قدمت من خلال قدرة الفنان اسشراف أفق لا محدود للقيمة مقدمات لمجالات التنمية الحضارية ليس لها صبغة فنية .

وإذا بطرح سؤال مهم نفسه :

هل نقصد بدراسة الوعى الجمالى عند الطفل ولفت الانتباه إلى ضرورة تنميته وصقله أن يصبح كل طفل فنان ؟

مما لا شك فيه أن الاجابة بالنفى ، وذلك لأن الابداع الفنى يحتاج إلى " موهبة خاصة " ، إلا اننا يمكن أن نقول إن تنمية هذا الوعى الجمالى " كطاقة " والعمل على فاعليته مع بقية الملكات يعمل على تنشئة مواطن مبدع فى مجاله الخاص، وذلك لأنه إذا كان تعميق الواقع يتم بالعلوم المختلفة الفزيائية والكيميائية والاقتصادية والاجتماعية ، فإنه تعميق الخيال المستول عن قدرة هذه العلوم على أحداث تعميق الواقع فهو " الوعى الجمالى " ، لأنه المدخل الطبيعى لترقية الملكات الانسانية معا ، فمثلا المدرس ذا الوعى الجمالى سيتحرر من دوره كمقيد وكابح لحرية التعبير ، ويهمل مناهج التلقين والتزديد ، ويبدأ ممارسته لدور المحرض والمحرك للملكات أن تعمل متناغمة ، وبذلك يعتمد الطفل على ذاته فى جو من الثقة والطمأنينة ، فيتحدى المشكلة المدركة حسياً وينسحب تأثير الوعى الجمالى للمدرس على نفس الطفل فنراه فى موقف الحل كأنه فنانا حقيقيا على الرغم من عدم نضجه . كذلك الصيدلى المبدع يبتكر دواء من حيث اللون والطعم والرائحة يختلف فى ذلك عن الصيدلى الذى يقف عند حدود التقنية العلمية ، وأيضاً الطبيب الذى يعالج جسداً فقط غير ذلك الذى يعالج الانسان كوحدة متناغمة من نفس وجسد ، وأيضاً المهندس المدنى والمهندس المعمارى إذا اتصفا بالوعى الجمالى والحساسية الفنية سينشأن مدنا مريحة وجميلة فى نفس الوقت ، وبالمثل الموظف فى مكتبة ، والعامل فى مصنعه والفلاح فى حقله سيؤدون عملهم وكأنه إبداع فنى ، لأن من يتشرب الجمال اى التوازن والتناسق والتناغم والجدة والتنوع منذ ولادته سيجعل منه انسانا متوازنا بمعنى إنه لا يوجد فيه نشاط ، فتتفق سلوكياته مع أفكاره مع طريقته فى الحياه ، فالآية الكريمة : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ تعبر عن تناسق الداخل مع الخارج ، فالإيمان باطن والعمل أو السلوك الخارجى ، الإيمان حق والسلوك

جميل يعبر عما بالداخل ويتناغم الداخل مع الخارج للإنسان منذ طفولته سيتحقق
للوطن ما يبتغيه من تقدم وازدهار .

لعل أخيراً أحاول - في كلمات قليلة أن أوضح مقصدى لفاعلية الوعي
الجمالى ، فإذا كان الوعي الجمالى هو النمو المتزايد نحو الاكتشاف الدائم عن الوحدة
فى الاختلاف ، فى المتناقضات ، فى المعارضات كذلك هو المقترح لمجموعات متنوعة
من الحلول أمام العقل الذى يختار فى الأغلب أحد الحلول ، فإنه بذلك يغرس احترام
الرأى الأخر ومعتقداته ويبتعد ذا الوعي الجمالى عن التعصب والتشدد ، وكذلك يجعل
الوعي الجمالى صاحبه يبحث دائماً عن زوايا جديدة للرؤية فيتجنب الجمود ، وايضاً
عن جوانب ومستويات متعددة من التفكير فيتحرر من أحادية النظر العقلية التى تعوق
التقدم وتغلق طريق التبادل والحوار الانسانى على ارض يملؤها الاحترام والفهم المتبادل
وايضا التسامح والتقدير .

المراجع الأجنبية

1. Andrew Wright : How to enjoy paintings, Combridge University press, 1986 .
2. David Farnill : Every man - Artist, in : The Development of Aesthetic Experience ed ., by Malcolm Ross, pergamon press, Oxfard, New york, Toronto .
3. Gilbert and Kuhn : A History of Aesthetics, Greenwood press, publishers 1972 .
4. Paul Edwardes, ed ., : The Encyclopedia of philosophy . vol ., 1 and 2.
5. peter A. Angeles : Dictionary of philosophy , Barnes & No Ble Books New york , Combridge , philadeliphia .
6. R.F.Dearden : The Aesthetic form of understanding , in : Aesthetic and problems of Education ed ., By Ralph A. smith , university of illinois press , 1971 .
7. S.K. langer : The problems of Art , printed in the united states of America library of congress .
8. S.k. langer : Feeling and Form , Charles Scribner,s sons - New york .

المراجع العربية

- ١- ألكسيس كاريل : الانسان ذلك المجهول - ترجمة شفيق اسعد فريد ، مكتبة المعارف - بيروت - ١٩٨٠ .
- ٢- د. أميرة حلمي مطر : مقدمة فى علم الجمال وفلسفة الفن - دار المعارف ١٩٩٤ .
- ٣- إتين سوريو : الجمالية عبر العصور - ترجمة د. ميشال عامى - منشورات عويدات .
- ٤- إرنست فيشر : ضرورة الفن - ترجمة أسعد حلیم - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٦ .
- ٥- أرنست كاسيرر : مقال فى الانسان - ترجمة الدكتور إحسان عباس مراجعة : الدكتور محمد يوسف نجم - دار الاندلس - بيروت .
- ٦- جان بارتليمي : بحث فى علم الجمال - ترجمة الدكتور أنور عبد العزيز مراجعة الدكتور نظمی لوقا - دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٠ .
- ٧- جورج سانتيانا : الاحساس بالجمال - ترجمة د . محمد مصطفى بدوى ، مراجعة د . زكى نجيب محمود - مكتبة الأنجلو المصرية .
- ٨- ديوى : جون وإيفلين : مدارس المستقبل . ترجمة عبد الفتاح المياوى مكتبة النهضة المصرية .
- ٩- د . زكريا إبراهيم : الفنان والانسان - مكتبة مصر .
- ١٠- سوزانا ميللر : سيكولوجية اللعب - ترجمة رمزى حلیم يس مراجعة د . أحمد زكى صالح - وزارة الثقافة - المكتبة العربية ١٩٧٤ .
- ١١- د . شاکر عبد الحميد : الطفولة والابداع - الجمعية الكونية لتقدم الطفولة العربية - خمس أجزاء - ١٩٨٩ .
- ١٢- غيورغى غاتشف : الوعى والفن - ترجمة د . نوفل ينوف مراجعة د . سعد مصلوح - عالم المعرفة ١٤٦ - ١٩٩٠ .
- ١٣- د. محمود البسيونى : رسوم الأطفال قبل المدرسة - دار المعرفة - ١٩٩١ .

- ١٤- د . نبيل على : العرب وعصر المعلومات - عالم المعرفة ١٨٤ - ١٩٩٤ .
- ١٥- د. مصطفى يوسف : دراسات نفسيه فى الفن - مطبوعات القاهرة - ١٩٨٣ .
- ١٦- هريرت ريد - التربية عن طريق الفن - ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد مراجعة مصطفى طه حبيب - الهيئة العامة للكتب والاجهزة العلمية ١٩٧١ .
- ١٧- د. يوسف مراد : علم النفس فى الفن والحياة - كتاب الهلال - ١٩٦٦ .

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الابداع بدار الكتب ٧٦٩٢ / ١٩٩٧

I.S.B.N 977 - 01 - 5258 - 7

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

■ د. وفاء إبراهيم

- أستاذ مساعد علم الجمال بكلية البنات،
جامعة عين شمس.

- لها عدة مؤلفات فى علم الجمال والوعى
الجمالى، منها: «علم الجمال قضايا تاريخية
ومعاصرة».

- ترجمة وتقديم رسائل فى التربية الجمالية
للإنسان لفردريش شيلر.

- «الفلسفة والأدب عند نجيب محفوظ».

- «قراءات جمالية فى إبداع هؤلاء».

- «فلسفة فن التصوير الإسلامى».

- «الشخصية المصرية فى فن محمود
مختار».

- حصلت العام الماضى على شها
من السيدة الجليلة سوزان مبارك عن ه
فى سلسلة مكتبة الأسرة بكتاب «فلا
التصوير الإسلامى».

Bibliotheca Alexandrina



0331364

مكتبة الأسرة



بسعر رمزى جنبه وربع
بمناسبة

مهرجان القراءة للجميع
١٩٩٧

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب